

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي



كلية الشريعة والاقتصاد

جامعة الأمير عبد القادر

دائرة الجذع المشترك للعلوم الإسلامية

للعلوم الإسلامية قسنطينة

مذكرة في مادة علوم القرآن  
لطلبة السنة الأولى جذع مشترك  
إعداد الدكتور: عبد العزيز ثابت

السنة الجامعية: (1437-1438هـ/2016-2017م)

# المحاضرة الأولى

## التعريف بعلوم القرآن

- \* معنى علوم القرآن مركبا إضافيا
- \* نشأة علوم القرآن وتطور التأليف فيه
- \* موضوع علوم القرآن وفوائد هذا العلم.

## علوم القرآن

### التعريف بهذا العلم ونشأته وتطوره.

● لفظ علوم القرآن مركب إضافي، فعلم مضاف والقرآن مضاف إليه، الأمر الذي يقتضي شرح هذين المتأضيفين كل على حدة، ثم تعريف المركب (علوم القرآن) بوصفه علما مستقلا على هذا الفن.

أما العلوم فجمع علم، والعلم في اللغة مصدر يعني الفهم والمعرفة، وفي لسان الشرع العام يطلق العلم على معرفة الله وآياته وصفاته وأفعاله في عباده وخلقه<sup>1</sup>. وفي عرف التدوين يطلق العلم على المسائل المضبوطة بجهة واحدة سواء كانت وحدة الموضوع أو وحدة الغاية.

### معنى علوم القرآن بالمركب الإضافي:

هو ذلك العلم الذي يخدم دراسة القرآن الكريم من جوانب عديدة، وتشمل علم التفسير، والقراءات ونزول القرآن وجمعه وترتيبه، وإعجازه والمكي والمدني، وعلوم الشريعة وعلوم العربية وكل ما له صلة بالقرآن الكريم.

### نشأة هذا العلم وتطوره:

لا ريب أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم كانوا على علم واسع بكتاب الله، أما الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الوحي من الله، وقد تكفل الله بجمع القرآن في صدره ﴿إِنْ عَلْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ، وأما الصحابة فلأنهم كانوا عربا خلصا يتمتعون بقوة الحافظة وتدوق الأساليب البليغة، وصفاء الفطرة، الأمر الذي جعلهم يفهمون ما ينتزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا أشكل عليهم فهم شيء من تاب الله سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فعرفهم.

ولكن هذه المعارف بالقرآن وعلومه لم تدون ولم تجمع في مصنفات في ذلك العصر إذا كانت التعويل على التلقي وعلى الحفظ ولم تكن أدوات الكتابة ميسورة لديهم، يضاف إلى ذلك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - نهاهم أول الأمر عن كتابة غير القرآن وكان القصد من هذا النهي مخافة أن يختلط بالقرآن الكريم ما ليس

<sup>1</sup> مناهل العرفان في علوم القرآن - الزرقاني ص 21/1.

منه، فلم تكتب علوم القرآن، ولم يكتب الحديث الشريف، وظلت علوم القرآن تروى بالتلقين والمشافهة على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم على عهد الشيخ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى كانت خلافة عثمان رضي الله عنه، وبدأ اختلاط العرب بالأمم الأخرى نتيجة اتساع رقعة الإسلام وانتشاره مما دفع عثمان إلى نسخ المصاحف وجمع المسلمين على مصحف إمام خوفا من اختلاف في فهمه وتأويله ويؤدي ذلك على تنازع المسلمين وتفرقهم، وبعد ذلك وضعا لعلم من علوم القرآن، سمي فيما بعد علم رسم القرآن أو الرسم العثماني، ثم جاء علي رضي الله عنه ولاحظ العجمة واللحن في قراءة القرآن، فأمر أبا الأسود الدولي بوضع القواعد اللازمة لغة القرآن، وبعد ذلك وضعا لعلم من علوم القرآن هو علم إعراب القرآن.

### مرحلة تدوين علوم القرآن:

تعدد تدوين العلوم وتصنيفها إلى كتب وأبواب وحقول في القرن الثاني الهجري، و قد كان لعلماء الحديث جهود طيبة مباركة فبذلوا طاقتهم في جمع السنة النبوية، وقد اشتملت مصفاتهم على أبواب التفسير وعلوم وفضائل القرآن، ثم تلا ذلك الجمع أفراد التفسير بمؤلفات مستقلة خاصة به، وبجوار جهود العلماء في تفسير القرآن نشأ التأليف الموضوع في مباحث تتعلق بعلوم القرآن منها:

- أسباب النزول لعلي بن المديني ت أ 12 هـ
- والناسخ والمنسوخ لأبي عبي القاسم من سلام ت 224 هـ.
- وظهر في القرن الرابع أبو بكر بن الأنباري ت 328 بكتاب أسماه (علوم القرآن).

وتتابع التأليف تحت مصطلح علوم القرآن فألف عبد الرحمان بن الجوزي كتابا سماه (فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن)، وظهر في القرن السابع علم الدين السحاوي بكتابه الذي سماه (جمال القرآن وكمال الاقراء).

وفي القرن الثامن الهجري برز بدر الدين الزركشي بكتابه (البرهان في علوم القرآن)، والناس من بعده عيال عليه، ويعد جلال الدين اسوطي فارس هذا الميدان بكتابه القيم (الاتقان في علوم القرآن).

وظهر في العصر الحديث العلامة عبد العظيم الرزقاني بكتابه الرائع (مناهل

العرفان في علوم القرآن).

ومن الكتب المعاصرة النافعة في هذا العلم كتاب (التبيان في علوم القرآن) للصابوني و(مباحث في علوم القرآن) لصبحي الصالح، والنبأ العظيم لعبد الله دراز، (والمعجزة الكبرى) لمحمد أبو زهرة، و (نظرات في القرآن) للشيخ محمد الغزالي<sup>1</sup>.

### موضوع علوم القرآن وفوائده:

موضوع علوم القرآن هو القرآن الكريم من النواحي المذكورة في التعريف ولمعرفة هذا العلم فوائد نجملها فيما يلي:

1/ إنه يساعد على فهم القرآن الكريم واستنباط الاحكام والآداب منه.

2/ يزود الدارس بجملة من المعارف المتعلقة بالقرآن الكريم.

3/ إن الدارس لهذا العلم يتسلح بسلاح علمي قوي يمكنه من دحض مفتريات أعداء القرآن ووضع شبهاتهم، وإبطال مزاعمهم وغير ذلك لأن الدفاع عن القرآن الكريم من أوكذ الواجبات على المسلم.

4/ أن الدارس لهذا العلم يكون ذا حظ كبير وقسط وفير من الثقافة القرآنية،

وما اشتمل عليه القرآن من معارف وعلوم تزكي نفسه وتتنور عقله<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن، د. فيصل عباس ، ط1- 2007، ص 29.

<sup>2</sup> من علوم القرآن، عبد الفتاح القاضي ص 6-7.

## المحاضرة الثانية:

الوحي حقيقته وأنواعه.

- تعريف الوحي لغة.

- تعريف الوحي شرعا.

- أنواع الوحي.

- دفع شبهات حول الوحي.

**الوحي لغة:** الوحي في اللغة من أَوْحَى، وَوَحَى وهو الإعلام في سرعة وخفاء. ويأتي بعدة معان منها:

(1) الإشارة كقوله تعالى: ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾<sup>1</sup> أي أشار إليهم ولم يتكلم.

(2) الإلهام الفطري: كما في قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى...﴾<sup>2</sup> أي ألقينا في خاطرها وألهمناها .

(3) الوسوسة: كما في قوله تعالى: ﴿وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوا لكم﴾<sup>3</sup>.

(4) الإلهام الغريزي: كما في قوله تعالى ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا...﴾<sup>4</sup>.

(5) الأمر كما في قوله تعالى: ﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فتنبثوا الذين آمنوا...﴾<sup>5</sup>.

### تعريف الوحي شرعا:

هو إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده بحكم شرعي ونحوه. أو هو عرفان يجده الشخص الموحى إليه في نفسه مع اليقين أنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة<sup>6</sup>.

### أنواع الوحي:

قال الله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾<sup>7</sup>.

بينت هذه الآية الكريمة أنواع الوحي الذي يكلم الله به أنبياءه عليهم الصلاة والسلام.

<sup>1</sup> مريم، الآية: 11

<sup>2</sup> القصص، الآية: 6

<sup>3</sup> الأنعام، الآية : 121.

<sup>4</sup> النحل، الآية: 68.

<sup>5</sup> الأنفال، الآية 12.

<sup>6</sup> مناهل العرفان - عبد العظيم الزرقاني دار الفكر، - 1/ 63

<sup>7</sup> الشورى، الآية: 51.

**النوع الأول:** هو ما يلقيه ويقذفه الله في قلب النبي أو الرسل، فيوقن النبي أو الرسول أن هذا من الله تبارك وتعالى ومنه ما جاء عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب.

**النوع الثاني:** أن يسمع النبي أو الرسول كلام الله من غير أن يدرك أو يرى مصدر هذا الصوت وذلك مثل تكليم الله موسى عليه السلام وهو امشار إليه بقوله ﴿أو من وراء حجاب﴾.

**النوع الثالث:** هو ما يكون بوساطة الملك جبريل<sup>1</sup> عليه السلام وهو المشار إليه بقوله ﴿أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾.

وهو أكثر أنواع الوحي وقوعا وبه نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾<sup>2</sup>.

ومن أنواع الوحي الرؤيا الصادقة في النوم للأنبياء والمرسلين قال الله تعالى في قصة إبراهيم ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾<sup>3</sup> وقالت عائشة أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح<sup>4</sup>.

### **دفع شبهات حول الوحي:**

لقد أثار أعداء هذا الدين شبهات يشككون فيها في أن القرآن الكريم وحي من عند الله أوحاه الله إليه بوساطة الروح الأمين ومن هذه الشبهات:

1- أن محمدا قد تعلم القرآن الكريم من غير، ولكن ممن تعلم هذا الكتاب تمة احتمالات.

أ- أن يكون مصدر القرآن مجتمعة الذي عاش فيه.

ب- أن يكون اكتسبه من اليهود والنصارى و أفاده من التوراة والإنجيل.

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن - د. فضل عباس ص 45 دار النفائس ط 1427 هـ - 2007 م).

<sup>2</sup> الشعراء، الآية 192 - 195.

ج- أن يكون تعلمه أثناء رحلاته التي كان يقوم بها للتجارة.  
وفي الرد على هذه الاحتمالات نقول: إن الزعم أن ما جاء به النبي منتزعا من المجتمع الذي كان يعيش فيه مردود لأن القرآن الكريم في كثير من آياته ينص على هذا المجتمع وأهله ما هم فيه من الباطل والفساد ويذكر مثاليه كالشرك، وعبادة الأوثان ووأد البنات، وقتل النفس كقوله ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾<sup>1</sup>.

وكقوله ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾<sup>2</sup>.  
وإن المعاصرين للعرب كاليهود والفرس والروم كانوا يصفون العرب بالأميين فقد قال القرآن الكريم عن اليهود ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾.  
ولم يكن ذلك المجتمع يحفل بالقضايا الدينية والمسائل العقدية بل كان مجتمعا أميا قبليا فهل يعقل أن يكون مصدرا القرآن ذلك المجتمع بأوصافه المذكورة.  
وأما الزعم بأنه مأخوذ من اليهود والنصارى فمردود أيضا لأنه لم يثبت أن الرسول كان يتردد على اليهود وكانت كل تحركاته ورحلاته بين الشام واليمن مع قومه وقد قضى فترة ما قبل الوحي يرعى الغنم، وكان قبل الوحي يقضي معظم أوقاته في غار حراء يتعبد، وقد ردا القرآن هذا الاحتمال بقوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾<sup>3</sup>.  
والتوراة والانجيل لم يترجما إلى العربية إلا بعد قرون من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم.  
وما جاء في القرآن الكريم يخالف كثيرا مما جاء في هذين الكتابين في مسائل الخلق والعقيدة والقصص والأخبار وأما الاحتمال أن يكون الرسول قد اكتسب القرآن من رحلاته إلى الشام واليمن فمردود لأنه لم يثبت أثناء تلك الرحلات قد اختلى بالأخبار والرهبان وعلماء اليهود والنصارى بل كان تحت أنظار قومه، وكان الذين يلاقيهم بين عابد وثني أو نصراني معرفتهم بالدين محدودة وساذجة.

**ثانيا: الزعم بأن يكون القرآن من عنده.**

<sup>1</sup> النحل، الآية : 20.

<sup>2</sup> النحل، الآية: 59.

<sup>3</sup> النحل، الآية 103.

وهذا الادعاء باطل ودليل بطلانه إقرار الرسول نفسه أن هذا القرآن ليس من عنده، بل هو من عند الله، وأي عاقل يتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات، وينسب ما يأتي به لغيره؟؟ ولو قال أحد أنه نسب القرآن إلى الوحي الإلهي لأن في ذلك ما يعينه على دعوة الناس ليستجيبوا له ويطيعوه، نقول حينئذ إن هذا دليل فاسد، وذلك لأن النبي قد هدر عنه كلام نسبه إلى نفسه، وجاء بكلام نسبه إلى ربه وكلاهما استوجب على الناس طاعته فيهما على السواء، وكانت طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله، ثم إن هذا القول<sup>1</sup> مبني على افتراض باطل وهو أن يكون النبي يريد الوصول إلى غايته عن طريق التمويه والكذب، ذلك أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم - تشهد أنه كان أبعد الناس عن الكذب ومن الأدلة على صدقه:

(1) - أنه كانت تنزل به النوازل، وكانت حاجته ملحة لأن يتكلم فيها ومع ذلك يبقى أياما وليالي ينتظر أن ينزل في شأنها قرآنا وأكبر مثال على ذلك حديث الإفك<sup>2</sup>.

(2) - كانت آيات كثيرة تنزل على الرسول تعاتبه نحو ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ ونحو ﴿أما من استغنى فأنت له تصدى \* وما عليك ألا يزكى \* وأما من جاءك يسعى \* فأنت عنه تلهى﴾ فلو كان القرآن من عنده لما عاتب نفسه ولسترها.

(3) كانت تنزل عليه آيات مجملة وقد تشكل على أصحابه فلا يتبين تأويلها إلا بنزول وحي من عند الله يبينها ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ أخافت أصحاب رسول الله حتى ظنوا أنهم يحاسبون على خطرات النفس وذلك أمر عسير حتى نزلت ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾.

(4) - كان حين ينزل عليه القرآن يتلقاه متعجلا خشية أن يفوت منه شيء فلو كان القرآن من عنده لما كانت له حاجة إلى ذلك التعجيل وتحريك لسانه طلبا لحفظه وخشية ضياعه.

(5) أخلاقه وسيرته الطاهرة ولو كان كاذبا ما الذي يمنعه أن يدعي علم الغيب بل كان يقول ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل.

<sup>1</sup> د. أحمد العلمي - علوم القرآن - ط1 1422 هـ - 2001م، دار ابن حزم، ص 24.

<sup>2</sup> من روائع القرآن - د. رمضان البيوطي، ص 29 مؤسسة الرسالة.

## المحاضرة الثالثة:

في التعريف بالقرآن الكريم

- لفظ (القرآن) في اللغة.
- التعريف الشرعي للقرآن.
- أسماء القرآن وأوصافه.
- الفروق بين القرآن والحديث القدسي.

## تعريف القرآن:

القرآن في الأصل مصدر (قرأ) يقال: قرأ قراءة وقرآنا.  
قال تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾<sup>1</sup>.  
أي قراءته.

فهو مصدر على وزن (فعلان) بضم الفاء كالغفران، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.  
وقيل هو: وصف على وزن (فعلان) بضم الفاء أيضا، مشتق من (القرآن) بمعنى الجمع، يقال (قرأت الماء في الحوض) أي جمعته، ثم سمي به الكلام المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لجمع السور والآيات فيه، أو لجمعه ثمرات الكتب السماوية السابقة كلها.

وهذان الرأيان جريا على أن لفظه مهموز.

أما من ذهب إلى أنه غير مهموز فاختلفوا في اصل اشتقاقه:  
فقيل إنه مشتق من: قرنت الشيء بالشيء، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به القرآن لقران السور والآيات والحروف بعضها ببعض.  
وقال الفراء: هو مشتق من القرائن لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا، وشبه بعضها بعضا، وهي قرائن، أي أشباه ونظائر.  
كما يرى البعض أنه غير منقول، وضع من أول الأمر علما على الكلام المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كذلك اختلف العلماء في كونه مهموزا، أو غير مهموز وفي رأيي أن كليهما صحيح، لأن القراءات الصحيحة وردت بالاثنتين، فلعل كل من ذهب إلى رأيي أخذ بالقراءة التي تؤيد مذهبه<sup>2</sup>.

## القرآن في الاصطلاح:

فإذا تركنا علماء اللغة وجئنا إلى علماء الأصول، والفقهاء نجدهم يعرفون القرآن بأنه:

<sup>1</sup> سورة القيامة 17-18.

<sup>2</sup> محاضرات في علوم القرآن. د. فضل عباس ص 32.

(كلام الله تعالى، المعجز، المنزل على خاتم الانبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس).  
فخرج بوصف: المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سائر الكتب المنزلة على غيره من الأنبياء والمرسلين، كما خرج بوصف: (المعجز، والمتعبد بتلاوته) الأحاديث القدسية على الرأي بأن لفظها من عند الله تعالى، فإنها ليست معجزة، ولا متعبدًا بتلاوته.

فخرج بوصف: (المنقول، المتواتر) جميع ما سوى القرآن، من منسوخ التلاوة، والقراءات غير المتواترة.

والراجع أن لفظ (القرآن) علم شخصي، مشترك لفظي بين الكل وأجزائه، فيقال لمن قرأ اللفظ المنزل كله: قرأ قرآنًا، ويقال لمن قرأ بعضه: قرأ قرآنًا، وهذا ما يفهم من كلام الفقهاء، حينما قالوا: (يحرم على الجنب قراءة القرآن) فإنهم يقصدون قراءة كله أو بعضه على السواء<sup>1</sup>.

### أسماء القرآن

من خصائص القرآن الكريم أن له عدة أسماء، وهذا يدل على شرفه وعلو منزلته، فكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعلو قدره، وهذه هي أشهر أسمائه:

1/ القرآن: قال الله تعالى:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى

والفرقان﴾<sup>2</sup>.

2/ الفرقان: قال الله تعالى:

﴿تبارك الذي نزل الفرقان﴾<sup>3</sup>.

3/ الكتاب: قال الله تعالى:

---

<sup>1</sup> المدخل لدراسة القرآن الكريم .د. محمد أبو شهبة ص 17 ط القاهرة، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، د. شعبان محمد إسماعيل ج 1 ص 89-92 دار الأنصار بالقاهرة.

<sup>2</sup> سورة البقرة آية 185.

<sup>3</sup> سورة الفرقان آية 1.

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾<sup>1</sup>.

4/ الذكر: قال الله تعالى:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>2</sup>.

5/ الوحي: قال تعالى:

﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾<sup>3</sup>.

6/ التنزيل: قال تعالى:

﴿الله نزل أحسن الحديث﴾<sup>4</sup>.

7/ القصص: قال تعالى:

﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾<sup>5</sup>.

8/ الروح: قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾<sup>6</sup>.

9/ المثاني: قال تعالى:

﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾<sup>7</sup>.

وقد بلغت أسماء القرآن عند كثير من العلماء أكثر من تسعين اسما لكن الغالب إطلاق أسماء القرآن والكتاب في تسمية هذا الكتاب الكريم<sup>8</sup>.

قال الدكتور محمد عبد الله دراز:

"روعي في تسميته قرآنا كونه مثلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه كدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه: ووفي تسميته بهاذين الاسمين إشارة إلى أن حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا:

﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾.

<sup>1</sup> سورة البقرة آية 2.

<sup>2</sup> سورة الحجر آية 9.

<sup>3</sup> سورة الانبياء آية 45.

<sup>4</sup> سورة الزمر آية 23.

<sup>5</sup> سورة آل عمران آية 62.

<sup>6</sup> سورة الشورى آية 52.

<sup>7</sup> سورة الزمر آية 23.

<sup>8</sup> انظر: البرهان لزرکشي (273/1).

فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحافظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنيهما بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز، إنجازاً لوعده الله، إذ تكفل بحفظه حيث يقول:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>1</sup>.

ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند. ثم بين سر هذه التفرقة بأن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأييد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيماً عليها، فطان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته، وكان سائراً مسيرها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده ففضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، وإذا قضى الله أمراً يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم<sup>2</sup>.

**أوصاف القرآن :** وقد وصف الله عز وجل القرآن بأوصاف كثيرة منها:

1- (النور) قال الله تعالى:

﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾<sup>3</sup>.

2-5 (هدى - شفاء - رحمة - موعظة) ودليل ذلك قوله تعالى:

﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾<sup>4</sup>.

6- (مبارك) قال تعالى:

﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه﴾<sup>5</sup>.

7- (مبين) قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الحجر، الآية: 9.

<sup>2</sup> النبأ العظيم ص (12-13) ط دار القلم بالكويت.

<sup>3</sup> سورة النساء آية 174.

<sup>4</sup> سورة يونس عليه السلام آية 57.

<sup>5</sup> سورة الانعام آية 92.

<sup>6</sup> سورة المائدة آية 15.

8- (بشرى) قال تعالى:

﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه  
وهدى وبشرى للمؤمنين﴾<sup>1</sup>.

9- (عزيز) قال تعالى:

﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز﴾<sup>2</sup>.

10-11 (بشير - نذير) قال تعالى:

﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون، بشيرا ونذيرا﴾<sup>3</sup>.

12- (مجيد) قال تعالى:

﴿بل هو قرآن مجيد﴾<sup>4</sup>.

وأوصاف القرآن الكريم لا نستطيع حصرها في هذا المقام الضيق فهي كثيرة وأجل من أن تحصى، وكل وصف من هذه الأوصاف يدل على معنى من المعاني التي تضمنها القرآن الكريم والذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنه لا تنقضي عجائبه"<sup>5</sup>.

### الفرق بين الحديث القدسي والقرآن

من المسلم به أن كل ما يبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه - عز وجل - إنما هو عن طريق الوحي، بواسطة الأمين جبريل - عليه السلام - .  
عن المقدم بن معديكرب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه...".

قال الخطابي: "أوتيت الكتاب ومثله معه" يحتمل وجهين:

أحدهما: أن معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو، مثل ما أعطي من الظاهر المتلو.

<sup>1</sup> سورة البقرة آية 57.

<sup>2</sup> سورة فصلت آية 41.

<sup>3</sup> سورة فصلت آية 3-4.

<sup>4</sup> سورة البروج آية 21.

<sup>5</sup> الزركشي - البرهان في علوم القرآن 273/1-276 والاتقان 67/1.

والثاني: أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى، وأوتي من البيان مثله، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب، فيعم، ويخص، ويزيد عليه، ويشرح ما في الكتاب، فيكون في وجوب العمل به، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن<sup>1</sup>.

فالقرآن الكريم موحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى، والحديث النبوي موحى إليه بالمعنى، دون اللفظ.

وهذا من الأمور المتفق عليها بين العلماء.

ولكنهم اختلفوا في الحديث القدسي، وهو ما يضاف إلى الله- عز وجل- مثل ما روى مسلم عن أبي ذر -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم بما يرويه عن ربه -عز وجل- أنه قال: "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر..." الحديث.

هل هو موحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى فقط، مثل الحديث النبوي، أو أنه موحى باللفظ والمعنى معا؟

خلاف بين العلماء، ليس هنا محل توضيحه، لكننا إذا جرينا على الرأي القائل بأنه موحى باللفظ والمعنى، فلا بد من بيان الفرق بينه وبين القرآن، وهذه هي أهم الفوارق:

**الفرق الأول:** القرآن الكريم لا يكون إلا بوحى جلي، بأن ينزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، فلا شيء من القرآن يوحى إليه بالهام أو منام، والحديث القدسي يجوز أن يكون بوحى جلي أو بوحى خفي.

**الفرق الثاني:** القرآن الكريم معجز للإنسان والجن قال تعالى:

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾<sup>2</sup>.

متحدي بأقصر سورة منه قال تعالى:

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم

<sup>1</sup> المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية د . شعبان محمد إسماعيل ج 1 ص (94-95).

<sup>2</sup> الإسراء آية 88.

من دون الله إن كنتم صادقين<sup>1</sup>.

محفوظ من التغيير والتبديل بحفظ الله تعالى له قال تعالى:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>2</sup>.

والحديث القدسي في جميع ذلك ليس كذلك.

**الفرق الثالث:** إن القرآن الكريم يتعبد بتلاوته بفهم وغير فهم، فيثاب قارئه على

كل حرف منه بعشر حسنات، والحديث القدسي ليس كذلك.

**الفرق الرابع:** القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى، والحديث القدسي ليس كذلك،

بل تجوز روايته بالمعنى كالحدث النبوي.

**الفرق الخامس:** القرآن الكريم يحرم على المحدث مسه، ويحرم على الجنب

تلاوته، والحديث القدسي ليس كذلك.

**الفرق السادس:** القرآن الكريم نقل إلينا بطريقة التواتر عن النبي صلى الله عليه

وسلم، أما الحديث القدسي فقد روي أحادا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

**الفرق السابع:** القرآن الكريم يتعين في الصلاة، ولا تصح للقادر غلا به، والحديث

القدسي ليس كذلك، فلا تصح الصلاة به.

**الفرق الثامن:** أن جاحد القرآن يكفر، بخلاف جاحد الحديث القدسي فإنه يكون

فاسقا.

**الفرق التاسع:** أن القرآن الكريم لفظه من الله تعالى بلا خلاف، بخلاف الحديث

القدسي فيجوز أن يكون اللفظ من النبي صلى الله عليه وسلم.

**الفرق العاشر:** أن القرآن الكريم بعضه يسمى آية وسورة، والأحاديث القدسية

ليست كذلك<sup>3</sup>

<sup>1</sup> البقرة آية 23.

<sup>2</sup> الحجر آية 9.

<sup>3</sup> الأحاديث القدسية ومنزلتها في التشريع . د . شعبان محمد إسماعيل ص 24-27 ط القاهرة.

## المحاضرة الرابعة

### تنزلات القرآن

- معنى النزول لغة.
- معناه اصطلاحا.
- تنزلات القرآن.
- حكمة نزول القرآن منجما.

## تنزلات القرآن:

### معنى النزول لغة:

مادة أنزل ونزول متعديان أولهما بالهمزة والثاني متعد بالتضعيف، ويرجعان إلى أصلهما اللانزم (نزل)، ومعنى النزول في اللغة الحلول في المكان، نزل الأمير بالمدينة حل بها، كما يراد به تحرك الشيء من علو إلى سفلى كقولنا نزل الرجل من الجبل. معناه في جانب القرآن: يراد بالإنزال في حق القرآن الإعلام، لأن نزول الشيء يقتضي إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء إن كان عاقلا، وهذا التعبير بلفظ الإنزال له إباحة، إذ يشير إلى علو منزلة هذا الكتاب كما قال تعالى:

﴿وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾<sup>1</sup>.

كما يشير هذا اللفظ إلى أن للقرآن مستقرا قبل تنزله، وهذا ما ينبه إليه قوله تعالى: ﴿وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾. [الزخرف]، وقد ذكر القرآن ذلك مرة أخرى في سورة البروج ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾<sup>2</sup>.

### تنزلات القرآن الكريم:

يرى بعض العلماء أن للقرآن عدة تنزلات هي:

- 1- نزوله على اللوح المحفوظ لقوله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾. [البروج: 21-22].
- 2- نزوله جملة واحد على بيت العزة في السماء الدنيا ذكره السيوطي في الاتقان.
- 3- نزوله مفرقا على قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - بواسطة جبريل لقوله تعالى: ﴿وانه لتنزيل رب العالمين\* نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾<sup>3</sup>.

وقد نبه العلماء إلى الحكمة من هذه التنزلات المتعددة وهي: بيان تعظيم شأن القرآن، وشأن من أنزل عليه، وتأكيدا لحفظه ونفي الريب عنه.

<sup>1</sup> الزخرف: 3.

<sup>2</sup> البروج: 21-22.

<sup>3</sup> الشعراء: 193-195.

ويرى فريق آخر أن للقرآن تنزلاً واحداً هو التنزل المفروق على قلب النبي بواسطة جبريل ويحملون معنى قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، على معنى ابتدأنا، انزاله في تلك الليلة ثم تتابع نزوله في سائر الأيام والليالي مدة الرسالة وهي 23 عاماً.

### حكمة نزول القرآن مفرقاً

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون إنزال القرآن منجماً - أي مفرقاً إلى أجزاء كل جزء منها يسمى نجماً - ، مقسماً على الأزمان والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾<sup>1</sup>، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾<sup>2</sup>.

فأما الآية الأولى فمعنى قوله تعالى: (فرقناه) فصلنا بعضه على بعض في النزول ولم ننزله دفعة واحدة، ومعنى قوله (على مكث) على تودة ومهل ، وتعليل نزول القرآن منجماً مفصولاً بعضه عن بعض بالقراءة على تمهل وتريث ليس المراد به أن تتجيم القرآن لمجرد قراءته على هذا الوجه، وإنما المراد به الإشارة إلى التآني والتدرج في التشريع فكأنه قيل أنزلنا القرآن منجماً ليكون جارياً على سنة التدرج في التشريع، ذلك أن القرآن الكريم نهج هذا النهج في تربية الأمة على هذا الوجه ويتجلى في الآتي:

1- التدرج بهم في تطهيرهم من العقائد الباطلة.

من الشرك بالله وجحود البعث وإنكار الوحي والرسالات وأن يكون الرسل بشراً.

2- التدرج بهم في تطهيرهم من العادات القبيحة التي توارثها ودرجوا عليها وتأجلت في نفوسهم فكان من المتعذر عليهم تركها مرة واحدة، كأد البنات، وشرب الخمر وأكل الربا، ولعب الميسر ونكاح نساء الآباء، وإكراه الفتيات على البغاء ونحو ذلك من الأمثلة.

3- التدرج بهم في تكميلهم بالفضائل نحو، والحلم والإعفاء عن المسيء، والإيثار والمحبة ورعاية الحوار.

1 الإسراء الآية...

2 الفرقان الآية...

4- التدرج بهم في تكليفهم بالواجبات من الصلاة والصيام والجهاد والحج وغير ذلك من العبادات والمعاملات.

5- التدرج بهم في حفظ القرآن وفهمه فإن ظروفهم كانت لا تمكنهم من ذلك لو نزل عليهم جملة واحدة، فقد كانوا في مكة مستضعفين معرضين للأذى الشديد من أعدائهم، حتى اضطروا لترك وطنهم، وكانوا بالمدينة مشغولين بمناوأة اليهود والمنافقين ، ومحاربة قريش وغيرها من العرب فهذه الآية تشير بكلمة (على مكث) إلى هذه الأنواع من التدرج وتشير إلى أن هذا التدرج المتنوع هو الحكمة من نزول القرآن منجما.

وأما آية الفرقان فتذكر حكمة أخرى في إنزال القرآن منجما وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿لنثبت به فؤادك﴾، هذه الحكمة هي تثبيت فؤاد النبي وتقوية قلبه وذلك أن تجدد الوحي، وتكرار نزول الملك على قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- يشرح صدره ويملاً قلبه سرورا وطمأنينة، ويشعر بين الفينة والأخرى بأنه في كنف ربه وحفظه وكلاءته لأن الوحي يحمل في كل مرة من دلائل صدقه في دعوى الرسالة ما يقطع ألسنة المكذبين ويقنع عقول المنصفين بأنه رسول رب العالمين، وقد سلك القرآن في تثبيت قلب النبي طرقا شتى:

\* فتارة يكون تثبيت فؤاده بذكر قصص الأنبياء والمرسلين ليبين الله له فيها سنته في جعل العاقبة للمتقين وسنته في إهلاك الظالمين مع مالهم من الحول والقوة، ليزداد ثباتا على ثباته ومضيا في الدعوة كقوله تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل نثبت به فؤادك﴾<sup>1</sup>.

\* وتارة بإنزال الآيات التي تحته على الصبر وتعهده بالتأييد والنصر كقوله تعالى: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾<sup>2</sup>، وقوله: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾<sup>3</sup>.

\* وطورا كان تثبيت فؤاده بإنزال آيات التسلية والنهي عن الحزن لأعراض قومه

<sup>1</sup> هود، الآية: 119.

<sup>2</sup> الطور، الآية: 46.

<sup>3</sup> الأحقاف، الآية 34.

﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾<sup>1</sup>. ﴿ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾<sup>2</sup>.

\* وطورا بإنزال آيات الوعيد التي تنذر المكذبين من قومه خشية أن يصيبهم من العقاب مثل ما أصاب من قبلهم من الأمم كقوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فقل أندرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾<sup>3</sup>.

وقوله: ﴿أكفاركم خير من أولائكم لكم براءة في الزبر﴾<sup>4</sup>.

\* وطورا يكون التثبيت بإنزال آيات الحجج والبراهين التي تدحض أكاذيب المفترين كالأيات التي نزلت في إبطال الشرك، والرد على منكري البعث و شبهات منكري الوحي والنبوة.

وعلى الجملة فأيات القرآن الكريم كانت كلها تثبيتا لقلبه لأنها من جهة كونها معجزة لجميع البشر عن الإتيان بمثلهما، كانت آية عظمى لتأييد رسالته وعاملا قويا في تثبيت فؤاده.

ومن جهة كونها كانت تنزل بحسب المناسبات عند الحاجة إليها سواء كانت لتقرير تشريع أم لجواب عن سؤال، أم لإقامة حجة، أم لتفنيد شبهة كانت أيضا من عوامل تثبيت قلبه عليه السلام، لأنها تجعله على بصيرة من أمر ربه وتجدد عهد صلته به وتخرجه من المآزق الحرجة التي كان يلجئ إليها المشركون.

<sup>1</sup> فاطر، الآية 8.

<sup>2</sup> النحل، الآية 127.

<sup>3</sup> فصلت، الآية: 12.

<sup>4</sup> القمر، الآية 43.

## المحاضرة الخامسة: المكي والمدني

- تعريفات
- علامات المكي
- علامات المدني
- فوائد معرفة علم المكي والمدني
- طريق معرفة المكي والمدني.

## المكي والمدني في القرآن الكريم:

من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم مكث في مكة - بعد أن شرفه الله تعالى بالرسالة- ثلاث عشر سنة تقريبا، ثم هاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين تقريبا- ثم انتقل إلى الرفيق الاعلى، فتكون مدة الرسالة ثلاثا وعشرين سنة تقريبا. ومن المعلوم أن القرآن لم ينزل على رسول الله دفعة واحدة، بل نزل منجما في مدى الثلاث والعشرين سنة التي هي مدة الرسالة، فحينئذ يكون بعض القرآن نزل بمكة، وبعضه نزل بالمدينة، بل إن بعضه نزل في أماكن أخرى، كالذي نزل في بعض أسفاره صلى الله عليه وسلم.

وللعلماء في تحديد معنى المكي والمدني ثلاثة مذاهب.

### المذهب الأول:

أن المكي ما نزل بمكة، سواء نزل بمكة نفسها، ام نزل في مكان قريب منها ك: منى وعرفات والحديبية، لأن ما قارب الشيء يعطي حكمه، وسواء كان نزوله قبل الهجرة أم بعدها.

والمدني ما نزل بالمدينة سواء نزل في المدينة نفسها أم في مكان قريب منها كبدر وأحد وغيرهما وعلى هذا المذهب يكون المعتبر في التقييم مكان النزول، وعليه أيضا يكون ما نزل في غير مكة والمدينة وضواحيها كالذي نزل في سفر من الأسفار قسيما مستقلا لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

### المذهب الثاني:

أن المكي ما نزل في شأن أهل مكة، سواء نزل في مكة نفسها، أم في مكان قريب منها- أم نزل في المدينة نفسها، أم في سفر من الاسفار، وسواء نزل قبل الهجرة أم بعدها، والمدني ما لم ينزل في شأن المكيين ومن على شاكلتهم من عبدة الأصنام. وعلى هذا المذهب تكون العبرة في التقسيم بالمخاطبين.

### المذهب الثالث:

وهو أشهر المذاهب وأضبطها -أن المكي ما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سواء نزل في مكة نفسها، أم في ناحية قريبة منها، أو بعيدة عنها. والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء بالمدينة أم بغيرها من البلدان، وإن كانت مكة

أو ما جاورها، أم نزل في سفر من الأسفار، وعلى هذا المذهب يكون المعنى في التقسيم زمن النزول وهاك أمثلة توضح لك هذه المذاهب<sup>1</sup>:

1- سورة الأنبياء: مكية على جميع المذاهب، أما على المذهبين الأول والثالث فلأنها نزلت بمكة قبل الهجرة، وأما على المذهب الثاني فلأنها تضمنت بيان موقف أهل مكة من الدعوة المحمدية، وإصرارهم على الكفر والعناد، مع وضوح الأدلة الدالة على صدق هذه الدعوة، وعلى كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى.

2- قوله تعالى في سورة الزخرف.. وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمان آلهة يعبدون.. فهذه الآية على المذهب الأول ليست مكية لأنها لم تنزل في مكة ولا في ضاحية من ضواحيها، وليست مدنية لأنها لم تنزل في المدينة ولا في ضواحيها، بل نزلت ليلة الإسراء ببيت المقدس.

وأما على المذهب الثاني فهي مكية لأنها بينت أن الله تعالى لم يبيح في شريعة من الشرائع السابقة عبادة غيره من الأوثان ففيها تبريح لأهل مكة على عبادتهم هذه الأوثان التي لم يأذن الله بها على لسان أي رسول.

وأما على المذهب الثالث فهي مكية أيضا لأنها نزلت قبل الهجرة.

3- سورة التوبة: مدنية على جميع المذاهب، أما على المذهبين الأول والثالث فلأنها نزلت بالمدينة بعد الهجرة، وأما على المذهب الثاني فلأنها لم تنزل في شأن أهل مكة، بل نزلت في شأن المنافقين في المدينة، وكشف أستارهم، وإبراز ما أضمره في قلوبهم من كفر وحسد.

4- سورة النصر - إذا جاء نصر الله والتح - إخ فهذه السورة مكية على المذهب الأول لأنها نزلت بمكة عام الفتح، أو نزلت بمعنى عام حجة الوداع على اختلاف الروايات في ذلك وهي مدنية على المذهبين الثاني والثالث، لأنها على المذهب الثاني لم تنزل في شأن أهل مكة وعلى المذهب الثالث نزلت بعد الهجرة.

<sup>1</sup> السيوطي - \* الاتقان ط4 1978 دار المعرفة 67/1.

## طريق معرفة المكي والمدني

لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان ذلك شيء، ولم يثبت انه أخبر بأن هذه السورة المكية، وتلك مدنية، وإنما لم يفعل ذلك لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله معرفة ذلك من فرائض الدين التي يلزم المكلف علمها "ويضره الجهل بها" ولأن الصحابة كانوا في غنى عن هذا البيان، لأنهم شاهدوا الوحي والتنزيل، وحضروا مكانه وزمانه، ووقفوا على أسباب النزول ومقتضياته، قال عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، والله الذي لا إله إلا هو ما نزلت سورة من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله تعالى غلا وأنا أعلم فيما نزلت، ولم أعلم أن احدا أعلم مني بكتاب الله تعالى تبلغه الإبل لركبت غليه، وقال أيوب: سألت رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال: نزلت في سفح هذا الجبل - أشار إلى سلع.

إذا: السبيل الوحيد الموصل لمعرفة المكي والمدني هو النقل الصحي عن الصحابة والتابعين<sup>1</sup>.

## علامات المكي والمدني

وضع العلماء علامات وأمارات يعرف بها المكي والمدني وبها يتميز كل منهما عن الآخر.

### علامات المكي:

- 1 - وجود لفظ، "كلا" في السورة، فكل سورة فيها هذا اللفظ فهي مكية. وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة. في خمس عشرة سورة، كلها في النصف الثاني من القرآن الكريم، قال بعضهم، (وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن) ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى.
- 2 - وجود آية سجدة في السورة، فكل سورة فيها آية سجدة فهي مكية.
- 3- افتتاح السورة بحرف التهجي مثل: ألم. الر. طسم: حم. ق. ن: فكل سورة افتتحت بحروف التهجي فهي مكية، إلا سورتين، البقرة، وآل عمران فهما مدنيتان بالإجماع مع كونهما مفتحتين بحروف التهجي.

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن، د. فضل عباس ص 162.

4- ذكر قصة آدم وإبليس في السورة، فكل سورة ذكرت فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية إلا سورة البقرة فهي مدنية مع ذكر هذه القصة فيها.

5- ذكر لفظ "يا بني آدم" في السورة، فكل سورة فيها هذا اللفظ فهي مكية.

6- اشتمال السورة على ذكر أنباء الرسل، وأحوال الامم السابقة لما فيه من أبلغ المواعظ، وانفع العبر، ومن تقرير سنته تعالى في كونه، وهي أهلاك الأمم المكذبة لرسولها - الخارجة على أو أمر ربها، ونصر من صدق رسل الله، ووقف عند حدود الله، وعمل بشرائعه، فكل سورة تضمنت ما ذكر فهي مكية، إلا سورة البقرة، فهي مع اشتمالها على ذكر قصص بعض الرسل مدنية، وهذه العلامات الست مطرودة، بمعنى أنه إذا تحقق أحدهما في سورة كانت هذه السورة مكية قطعاً.

7- اشتمال السورة على آية مصدره بلفظ "يا أيها الناس" فذكر الآية التي صدرت بهذا اللفظ في سورتها - علامة على أن هذه السورة مكية، قال بعض الأفاضل: والسبب في ذلك ان الكفر كان غالباً في أهل مكة، فخطبوا ب: أيها الناس وإن كان غيرهم داخلاً فيهم.

وهذه العلامة غير مطردة إذ قد توجد الآية المصدرية بهذا اللفظ في سورة مدنية، كقوله تعالى في سورة البقرة- وهي مدنية اتفاقاً- ﴿يأياها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾، الآية وقوله تعالى في صدر سورة النساء - وهي مدنية أيضاً- ﴿يأياها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ - الآية، فهذه العلامة أغلبية فقط بمعنى أن الأغلب والأكثر أن لفظ يأياها الناس يكون في السورة المكية، وقد يكون في السورة المدنية أيضاً ولكنه قليل.

8- قصر الآيات، فقصر آيات السورة أمانة على كونها مكية، وقد علل بعضهم ذلك بأن أهل مكة كانوا أهل فصاحة ولسن فيناسبهم الإيجاز دون الإطناب، وهذه العلامة أغلبية أيضاً إذ قد يوجد القصر في الآيات المدنية كسورة النصر فإن آياتها قصيرة مع كونها مدنية<sup>1</sup>.

9- عناية أي سورة بالدعوة إلى المقصد الأسمى من الدين، وهو الإيمان بالله تعالى، وتوحيده - والاعتقاد بأنه تعالى موصوف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص.

<sup>1</sup> في علوم القرآن - عبد الفتاح القاضي 12-14.

والإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وبرسالة من سبقه من الرسل، والإيمان بملائكة الله تعالى وكتبه، وباليوم الآخر وما فيه من بعث ونشور، وحساب وجزاء، ونعيم وعذاب، مع إثبات ذلك كله بأدلة الكون، وبراهين العقق ثم النعي على المشركين وإبطال شبههم، وتفنيد مزاعمهم، وتسفيه أحلامهم بعكوفهم على عبادة أصنام لا تملك لنفسها فضلا عن غيرها - نفعا ولا ضرا - فكل سورة اشتملت على ما ذكر فهي مكية.

10- تحدثت أي السورة عن مثالب المشركين البغيضة، وعاداتهم المنكرة من القتل بغير حق، وواد البنات واستباحة الأعراض، وأكل أموال اليتامى ظلما، وأكل الربا وشرب الخمر إلى غير ذلك من الموبقات مع تحذيرهم منها، ووعيدهم على ارتكابها، فكل سورة هذا شأن آياتها فهي مكية.

11- تضمنت آيات السورة حث العرب على التحلي بأصول الفضائل وأمهات المكارم، من الصدق في الحديث، والصبر على المكاره، والأمانة، والعدل، وحسن المعاملة، ورعاية الجوار، والوفاء بالعهد وبر الوالدين والتواضع، ولين الجانب والعفة، والعلم، والإخلاص، ومحبة الغير، وطهارة القلوب ونظافة الألسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير ذلك من الفضائل فكل سورة تضمنت آياتها ما ذكر أو شيئا منه فهي مكية، وهذه العلامة واللذان قبلها بحسب الغالب أيضا: إذ قد توجد آيات في سورة مدنية مشتملة على ما شرحناه في العلامات الثلاث.

### علامات المدني:

1- اشتمال السورة على آية صدرت بلفظ "يا أيها الذين آمنوا" فذكر الآية المصدرة بهذا اللفظ في السورة -سواء كانت هذه الآية في اول السورة، أم في وسطها، أم في آخرها -إمارة على أن هذه السورة مدنية، والسبب في ذلك أن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة فخطبوا بيايها الذين آمنوا وإن كان غيرهم داخلا فيهم<sup>1</sup>.

وهذه العلامة مطردة، فإذا وجد هذا اللفظ في سورة ما - كانت هذه السورة مدنية قطعا.

2- طول أكثر سورة وآياته لأن أهل المدينة لم يكونوا يضاؤون أهل مكة في

<sup>1</sup> في علوم القرآن - عبد الفتاح القاضي 16-17.

الذكاء والألمعية، وطول الباع في باحات البلاغة والبيان، فيناسب أهل المدينة شرح والإيضاح، وذلك يستتبع كثيرا من البسط والإسهاب.

يضاف إلى ذلك أن سور المدني وآياته طويلة نظرا لما اشتملت عليه من الأحكام والتشريعات، ومن شواهد طول السور المدنية وطول آياتها على السور المكية وآياتها أن معظم السور الطوال مدنية، ومعظم السور القصار مكية، وأن سورة الأنفال وهي مدنية قد اشتملت على خمس وسبعين آية، وأن سورة الشعراء مكية قد اشتملت على سبع وعشرين ومائتي آية مع أن كلا منهما نصف جزء فطول السورة وطول آياتها دليل في أنها مدنية، وهذا بحسب الأكثر والغالب إذ توجد سورة طويلة وآياتها طوال وهي مكية كسورة الأنعام وإن كان ذلك قليلا فهذه العلامة أغلبية لا مطردة.

وتعبيرنا بأكثر في قولنا: طول أكثر سورة وآياته لإفادة أن من المدني سورا قصيرة مشتملة على آيات قصار كسورة النصر، وأن منه سورا قصيرة مشتملة على آيات طوال كالحجرات والمجادلة والممتحنة.

3- دعوة أهل الكتابين اليهود والنصارى إلى الانضواء تحت لواء الإسلام وإقامة البراهين على فساد عقيدتهم، وبعدهم عن الحق والصواب، وتحريفهم كتاب الله تعالى.

4- اشتمال السورة على الإذن بالجهاد، وبيان أحكامه، لأن الجهاد لم يشترع إلا في المدينة.

5- تضمن السور بيان قواعد التشريع التفصيلية، والأحكام العلمية في العبادات والمعاملات والفرائض وأحكام الحدود، وأنواع القوانين المدنية، والجنائية، والحربية، والاجتماعية، وأحكام الأحوال الشخصية، ونظام الأسرة، إلى غير ذلك من دقائق التشريع<sup>1</sup>.

6- اشتمال السورة على أحوال المنافقين، وموقفهم من الدعوة المحمدية، وتوقيف الرسل على جلية أمرهم، وما يكونون له من حسد وعداوة ذلك أن المنافقين لم تنشأ جماعتهم إلا في المدينة.

وهذه العلامات الأربع مطردة.

وينبغي أن يعلم الحكم على السورة بأنها مكية يصد بحالين:

<sup>1</sup> في علوم القرآن - عبد الفتاح القاضي 18.

الأولى: أن يكون جميع آياتها مكيا، كسورة المدثر فإن آياتها كلها مكية، وليس فيها آية مدنية.

الثانية: أن يكون معظم آياتها مكيا، ويكون بعضها مدنيا كسورة النحل فإنها لكها مكية ما عدا الآيات الثلاث في آخرها من قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ على آخر السورة فإنها مدنية.

وكذلك الحكم على السورة بأنها مدنية يصدق بحالتين:

الأولى: أن يكون أغلب آياتها منيا، ويكون بعضها مكيا كسورة محمد صلى الله عليه وسلم فإنها كلها مدنية إلا قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتهم فلا ناصر لهم﴾، فإنها مكية، لنزولها حين خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الغار قاصدا الهجرة.

فالحكم على السورة بكونها مكية أو مدنية تابع لجميع آياتها أو لمعظمها، فإن كان جميع الآيات أو معظمها مكيا كانت السورة مكية، وإن كانت جميع الآيات أو معظمها مكيا كانت السورة مكية، وإن كانت جميع الآيات أو معظمها مدنيا كانت السورة مدنية.

## المحاضرة السادسة: ترتيب الآيات والسور

- تعريف الآية.
- تعريف السورة.
- ترتيب الآيات.
- ترتيب السور.

## معنى الآية لغة واصطلاحاً:

### الآية لغة: يطلق لفظ الآية على عدة معان:

- 1- المعجزة: ﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية﴾<sup>1</sup>.
  - 2- العلامة: ﴿إن آية ملكه أن يأتيتكم التابوت فيه سكينة من ربكم﴾<sup>2</sup>.
  - 3- العبرة: ﴿إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة﴾<sup>3</sup>.
  - 4- البرهان: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾<sup>4</sup>.
- اصطلاحاً: هي مجموعة من كلمات القرآن لها بداية ونهاية مندرجة في سورة وأقلها كلمة مثل والفجر.

معنى السورة لغة واصطلاحاً:

لغة: تعني المنزلة وتعني ما طال من البناء.

اصطلاحاً: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع، وسميت السورة بهذا الاسم لأن فيها معنى العلو والرفعة ولأن صاحبها ذو منزلة رفيعة عند الله وعند الناس. وتختلف السور طولاً وقصراً فأطولها البقرة 286 آية وأقصرها الكوثر 3 آية.

### ترتيب الآيات:

انعقد إجماع الأمة سلفاً وخلفاً على أن ترتيب الآيات كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، فقد كان جبريل ينزل بالآية والآيات فيوحها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويدله على موضع كل آية من سورتها ثم يبلغها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ويقروها عليهم، ويستحفظهم إياها، فيحفظونها من فورهم ثم يتلون أمامه ما حفظوا ثم يأمر كتاب الوحي بكتابة ما نزل ويعين لهم السورة التي توضع فيها الآية أو الآيات، كما يعين لهم موضع الآية أو الآيات من السورة، فيقول لهم: ضعوا هذه الآيات في سورة كذا بجانب آية كذا في هذه السورة، وكان جبريل يعارضه بالقرآن في

<sup>1</sup> البقرة، الآية: 209.

<sup>2</sup> البقرة، الآية: 246.

<sup>3</sup> هود، الآية: 103.

<sup>4</sup> الروم، الآية: 21.

رمضان من كل عام مرة ، وعارضه في العام الأخير مرتين .  
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حين مدارسته القرآن مع جبريل ومعارضته له  
كل عام مرة وفي العام الأخير مرتين يقرؤه مرتب الآيات، كما كان يقرؤه كذلك في  
صلاته، وفي خطبه وفي سائر أوقات قراءته بمحضر من الصحابة جميعا، حتى إذا  
تم نزول القرآن كانت كل آياته مرتبة في سورها، وقد حفظها عنه الصحابة بترتيبها  
فكل من حفظ القرآن أو شيئا منه من الصحابة لم يحفظه إلا على هذا الترتيب الذي  
هو عليه الآن في سائر المصاحف<sup>1</sup>.

ثم إن هذا الترتيب ذاع واستفاض بين المسلمين في شتى البقاع يقرءونه في  
صلاتهم ويتدارسونه فيما بينهم، ويسمعه بعضهم من بعض، ويتلقاه بعضهم عن بعض،  
وليس لواحد من الصحابة - كائنا من كان دخل ما في ترتيب شيء من آيات القرآن  
الكريم.

فلما كان زمن أبي بكر وأراد جمع القرآن، وجمعه فعلا، لم يكن عمله متناولا  
ترتيب الآيات، وإنما كان مقصورا على نقل القرآن من العسب واللخاف وغيرها إلى  
صحف خشية عليه من التفرق والضياع إذ كثر القتل في حفاظه، والجمع الذي كان  
في عهد عثمان لم يعد نقل القرآن من الصحف إلى مصاحف، فكل من جمعي أبي  
بكر الصديق وعثمان كان وفق الترتيب المحفوظ المتواتر عن النبي صلى الله عليه  
وسلم.

ثم إن نسخ المصاحف من عهد عثمان إلى وقتنا هذا لوحظ فيه هذا الترتيب  
المجمع عليه، وقد نقل الإجماع على هذا كثير من العلماء الأعلام، كالإمام بدر الدين  
الزوكشي في البرهان وأبي جعفر بن الزبير في مناسباته حيث يقول: "ترتيب الآيات  
في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين  
المسلمين، انتهى".

وقد استند هذا الإجماع إلى نصوص كثيرة دالة على أن ترتيب آيات القرآن توقيفي  
إجمالا وتفصيلا.

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن، فضل عباس 168.

فمن هذه النصوص ما رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن عثمان ابن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص يبصره ثم صوبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى" الآية.

فهذا الحديث صريح في أن جبريل علمه موضع هذه الآية من سورتها. وكذلك كان دأبه في كل آية. ومنها ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان بن عفان، والذين يتوفون منكم، ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم الآية نسختها الآية الاخرى<sup>1</sup>، فلم تكتبها أو تدعها<sup>2</sup> قال يا ابن أخي لا أغير شيئا من مكانه فهذا الحديث صريح في أن إثبات هذه الآية في مكانها من سورتها توقيفي، لا يستطيع عثمان أن يتصرف فيه انه وجدها مكتوبة في المصحف المنقول مما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغيرها من مكانها لأن هذا امر لا مجال فيه للرأي والاجتهاد.

ومنها ما رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه قال: ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بأصبعه في صدري وقال: تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء، فهذا الحديث يدل على أن آيات السور كانت مرتبة معلومة الترتيب في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معلوما ما هو مقدم منها وما هو مؤخر ولذلك قال الرسول لعمر: تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء، فدل على موضع هذه الآية من سورتها وهو قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكِلَالَةِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ﴾ وإنما سميت هذه الآية آية الصيف لأن نزلها كان في الصيف في سفر حجة الوداع.

ومنها ما رواه البخاري عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" أي أجزائه عن قيام الليل بالقرآن، أو كفتاه شر الشيطان، فالحديث صريح في أن تعيين موضعها كان

<sup>1</sup> وهي ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتريصن﴾ - الآية.

<sup>2</sup> هذا شك من الراوي هل قال لم تكتبها - أو قال لم تدعها أي تركها مكتوبة مع أنها منسوخة وكان ابن الزبير

يظن أن ما نسخ حكمه تنسخ تلاوته.

بتعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك يؤيد ما قلناه من الإجماع، والآيتان المذكورتان في الحديث هما: ﴿أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ - إلى آخر السورة<sup>1</sup>. ومنها ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعاً "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال، وفي لفظ آخر: "من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف". ويدل على أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي أيضاً ما ثبت في السنن الصحيحة من قراءته صلى الله عليه وسلم لسورة عديدة كسورة البقرة وآل عمران، والنساء وما ورد في البخاري من قراءته عليه الصلاة والسلام سورة الأعراف في صلاة المغرب، وروى النسائي أنه قرأ سورة: ﴿قد أفلح المؤمنون، في صلاة الصبح﴾، وروى الطبراني أنه قرأ سورة الروم في صلاة الصبح، وروى البخاري ومسلم أنه قرأ ألن تنزيل "السجدة" وسورة الإنسان، في صبح يوم الجمعة، وروى مسلم أنه قرأ سورة "ق" في الخطبة وفي البخاري أنه قرأ سورة "النجم" على الكفار بمكة وفي مسلم أنه قرأ سورة "واقتربي الساعة وسورة "ق" في صلاة العيد - وفي مسلم أيضاً أنه قرأ سورة الجمعة وسورة المنافقين في صلاة الجمعة.

إلى غير ذلك وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ هذه السورة وغيرها من باقي سور القرآن الكريم مرتبة بمشهد من الصحابة، وعلى مرأى ومسمع منهم جميعاً، فتلقوا عنه ترتيب الآيات في سورها، وما كان الصحابة ليرتبوا آيات القرآن ترتيباً مخالفاً لترتيب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أحرص الناس على اتباعه، ومن نصوص علماء الإسلام الدالة على ترتيب آيات القرآن موحي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما نقله الإمام السيوطي في الاتقان حيث يقول:

روى عن وهب قال: سمعت مالك بن أنس رضي الله عنه يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم وقال البغوي في شرح السنة: إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غير أن قدموا شيئاً أو أخرروا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي أصحابه

<sup>1</sup> علوم القرآن - أحمد العلي ص 67.

ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك - وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا، فنبت أن سعى الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا. ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.

وقال ابن الحصار: ترتيب السورة ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: ترتيب الآيات أمر لازم وحكم واجب، فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقال أبو بكر أيضا: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله بأمر بأثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله - هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه شيء، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه من أي السورة، ولم يقدم من ذلك مؤخر، ولا آخر من ذلك مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أي كل سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءة، وذات التلاوة، وانتهى من الإتقان للسيوطي، فنبت بهذه النصوص المتضافرة أن ترتيب أي كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف تلقاه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى فيكون توقيفيا لا مجال فيه للنظر والقياس، ولا محل فيه للرأي والاجتهاد، فليس لأحد من الناس مهما بلغ شأنه أن يغير فيه وضع آية أو كلمة، فيقدم بعض الآيات على بعض أو يؤخر بعض الكلم عن بعض، ومن تحدثه نفسه بشيء من هذا فإنه يكون مبتدعا وضالا - ويخرج به من رقة الإسلام والعياذ بالله تعالى.

ويؤخذ من هذه النصوص أنه - كما يجب ترتيب الآيات في التلاوة - يجب ترتيبها في التلاوة، وهذا أمر مجمع عليه أيضا، والله الموفق.

**ترتيب السور:** وأما ترتيب السور على ما هي عليه الآن فقد اختلفوا فيه، هل هو توقيفي أيضا كترتيب الآيات، أو هو من عمل الصحابة واجتهادهم؟ وأشهر مذاهبهم في ذلك ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول، أن ترتيبها كان باجتهاد الصحابة وقد جنح إلى هذا المذهب الإمام مالك والقاضي أبو بكر فيما اعتمده استقر عليه رأيه، وغيرها - قال الإمام الزركشي في البرهان "قال أبو الحسين أحمد بن فارس: جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال، وتعقيبهما بالمئين وهذا الضرب هو الذي تولته الصحابة رضي الله عنهم، وأما الجمع الآخر فضم الآي بعضها إلى بعض، فذلك شيء تولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أخب به جبريل عن أمر ربه عز وجل، انتهى. واستدل هؤلاء على مذهبهم بأن مصاحف السلف من الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور، فمصحف علي رضي الله عنه رتب فيه السور حسب نزولها، فأوله سورة العلق، ثم المدثر، ثم ن، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر السورة المكية ثم السورة المدنية حسب نزوله أيضا.

ومصحف ابن مسعود وأبي بن كعب كانا مبدؤين بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائدة، وهكذا، فلو كان ترتيب السور توقيفيا متلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم كترتيب الآيات، لما اختلفت فيه المصاحف، وهذا الدليل متدال مردود من ثلاثة أوجه:

**الأول:** أن المصاحف المذكورة كتبت قبل العرضة الأخيرة، كانت هذه العرضة، واستقر بها أمر القرآن ترتيبا وأحكاما وتبت هذه المصاحف علة مقتضاها بأمره صلى الله عليه وسلم.

**الثاني:** أنه قد ورد في الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن ترتيب كثير من السور كان معلوما في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي بيان هذه الأحاديث.

**الثالث:** أن زيد بن ثابت الذي أسند إليه الخليفة عثمان بن عفان رئاسة الجمع الذي رتبوا مصاحفه ونسخوها - كان من كتاب الوحي، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن، وعلم ترتيب السور من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس من المعقول أن يحدث زيد من تلقاه نفسه ترتيبا للسورة غير ما تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن

ذلك لم يكن من عاداتهم، فلا بد أن يكون ترتيبه للسور قد تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم:

المذهب الثاني: أن ترتيب السورة توقيفي منقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا سورتي الأنفال وبراءة فإن وضعهما في موضعهما كان باجتهاد عثمان رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة- وممن جنح إلى هذا المذهب البيهقي المحدث للشهور في كتاب المنخل، وجمال الدين السيوطي في كتاب الإتيان<sup>1</sup>.

واستدل أصحاب هذا المذهب بما رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال - وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المثنين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال، فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فطنت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال.

فهذا الحديث صريح في أن وضع الأنفال وبراءة في موضعهما من المصحف كان باجتهاد عثمان لأنه نسب وضعهما غل نفسه ولم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما ما عداهما من بقية السور فلا بد أن يكون عثمان قد اتبع فيه ما علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بيد أن هذا الحديث لا ينهض حجة لهؤلاء من جهة سنده، ومن جهته، وأما من جهة سنده فإن الترمذي - وهو أحد رواة - قال فيه إنه حسن غريب لا يعر إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس، ويزيد الفارسي هذا قال فيه العلامة ابن حجر العسقلاني إن المحدثين اختلفوا فيه، هل هو يزيد بن هرمز المشور بأنه ثقة أو غيره ثم قال والصحيح أنه غيرهن وسئل عنه يحيى بن معين فلم يعرفه، انتهى.

<sup>1</sup> في علوم القرآن - عبد الفتاح القاضي 66.

أقول: ورجل هذا شأنه مجهول الحال لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ بها ويعتمد عليها في ترتيب القرآن المتواتر.

وأما من جهة منته فإنه معارض بما ثبت في السنة الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن كله في رمضان مرتين، فأن كان يضع هاتين السورتين في رآته حينما كان يتعرض على جبريل؟ فالتحقيق إذا أن وضعهما في موضعهما توقيفي وإن فات عثمان أو نسيه، وأن البسمة لم تكتب في أول براءة لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من بقية السور ولولا ذلك لعارضة جمهور الصحابة وناقشوه فيه عند كتابة القرآن.

المذهب الثالث: أن اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كان بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذهب إلى ذلك جمهور العلماء، ومهم أبو بكر بن الأنباري، والكرماني، والطبي، وأبو جعفر النحاس وآخرون غيرهم<sup>1</sup>.

قال أبو بكر الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السور تنزل لأمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر، ويقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق السور الآيات والحروف، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الكرماني في البرهان: ترتيب السور هكذا هو من عند الله في اللوح المحفوظ، على هذا الترتيب، وعليه كان رسول الله عليه السلام يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولا (وانقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) بالبقرة فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين.

وقال الطيبي: أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفردا على حسب المصالح ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ وقال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لحديث وائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه

<sup>1</sup> علوم القرآن - د. أحمد العلي ص 68.

وسلم قال: أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل: المثاني، وفضلت بالمفصل<sup>1</sup>.

قال أبو جعفر: فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه مؤلف من ذلك الوقت وإنما جمع في المصحف على شيء واحد وفيه أيضا دليل على أن سورة الأنفال سورة على حدة، وليست من براءة. ومما استدل به الجمهور على مذهبهم أنه ورد في أحاديث كثيرة أن ترتيب بعض السور في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عين ترتيبها في المصحف التي نسخها زيد بأمر عثمان.

منها ما رواه البخاري عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه والأنبياء، إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي. والعتاق جمع عتيق، وهو القديم من كل شيء والمعنى أنهن من قديم ما نزل، والتالد قديم المال والمتاع، والطارف حديثه وجديده، والمراد بالتالد هنا أنهن من أول ما حفظ من القرآن فذكرها النبي صلى الله عليه وسلم نسقا كما ستقر ترتيبها في المصحف.

وروى البخاري أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرا قل هو الله أحد والمعوذتين، فذكرها مرتبة كما هي في المصحف، وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: "اقرأوا الزهر أو بين البقرة وآل عمران، فهذه الأحاديث وما شاكلها تدل على أن السور المذكورة فيها كان ترتيبها مسندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه عليه الصلاة والسلام قرأ القرآن كله بمشهد من زيد بن ثابت، وأن زيدا اختاره أبو بكر لجمع القرآن لقوة الثقة به، وكذلك اختاره عثمان رئيسا لمن نسخوه في المصحف تيقنا أن هذا الترتيب الذي عمله زيد هو ما تلقاه من الرسول عليه السلام.

وقال ابن وهب سمعت مالك ابن أنس يقول: "إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم"، أقول، وإطلاق التأليف يشمل تأليف

<sup>1</sup> ذكر الرسول هذه الأنواع الأربعة التي اشتمل عليها القرآن على هذا النحو من الترتيب الذي يتفق وترتيب السور في المصحف يدل على أنه توقيفي.

الآيات والسور جميعا.

وقد اخرج ابن اشته في كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال: سمعت ربيعة يسأل لم قدمت البقرة وآل عمران وقد أنزل قبلهما بضع وثمانون سورة مكية، وإنما أنزلنا بالمدينة؟ فقال: قدمتا وألف القرآن على علم ممن أ...، فهذا مما ينتهي إليه ولا يسأل عنه، انتهى.

وقال السيوطي في الإتقان: ومما يدل على أن ترتيب السور "توقيفي أن الحوامم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، ب فصل بين سورها، وفصل بين طسم القصص بطس النمل مح انها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهادا لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت طس النمل عن القصص انتهى.

وقال بعض الأفاضل: إن ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم كترتيب الآيات، وإنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر منه صلى الله عليه وسلم، والدليل على ذلك أن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان، ولم يخالف منهم أحد وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف.

لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاف المخالفة بمصاحفهم، لكنهم لم يتمسكوا بها، بل عدلوا عنها وعن ترتيبها، وأحرقوها ورجعوا إلى مصاحف عثمان وترتيبها، انتهى.

وسواء رجحنا المذهب الاول، أو قوينا الثاني، أم جنحنا إلى الثالث فإن هذا الترتيب يجب التزامه في كتابة المصاف وطبعها لأنه أجمعت عليه الصحابة، والتابعون وتابعوهم، والأئمة المجتهدون، وجمه علماء الإسلام في جميع الأمصار والأمصار على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، وتلقته الأمة الإسلامية بالقبول من مبدأ نزول القرآن إلى وقتنا هذا، فمخالفته تجر على المسلمين ويلات لا قبل لهم بها،

وتفتح عليهم أبوابا من الفتن لا سبيل لهم إلى سدها.

أما ترتيب السور في القراءة فليس بواجب شرعا بل هو مندوب فحسب، فقد ثبت في السنة الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم ترك "في بعض الأوقات" هذا الترتيب في القراءة لبيان عدم زجزيه فيها، وجواز مخالفته، ففي الصحيحين أنه صلى الله عليه

وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة في الركعة الأولى الم السجدة، وفي الركعة الثانية هل أتى على الإنسان، وكان يقرأ في صلاة العيد سورة ق في الركعة الأولى وسورة اقتربت في الركعة الثانية، وفي مسلم عن حذيفة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاته البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، فقدم النساء على آل عمران، وثبت ان عمر بن الخطاب قرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى سورة الكهف وفي الثانية سورة يوسف.

قال ابن بطال: لا نعلم أحدا قال بوجوب ترتيب السور في القراءة، لا داخل الصلاة، ولا خارجها، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة، والحج قبل الكهف مثلا، وأما ما جاء عن السلف من النهي عن قراءة القرآن منكوسا فالمراد به أن يقرأ آيات السورة من آخرها حتى يصل إلى أولها بأن يبدأ بآخر آية في السورة، ثم يقرأ الآية التي قبلها، ثم التي قبل هذه حتى يختم بأول آية في السورة، وكان جماعة يفعلون ذلك في القصيدة من الشعر مبالغة في حفظها وتذليلا للسان في سردها فمنع السلف ذلك في القرآن فهو حرام فيه، انتهى<sup>1</sup>.

أقول: في كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد عن أبي وائل قيل لابن مسعود: إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا فقال منكوس القلب، ورواه البيهقي، وقال الإمام النووي في التبيان: وأما قراءة السورة من خرها إلى أولها فممنوع منعا متأكدا، لأنه يذهب بعض ضروب الإعجاز، ويزيل حكمة ترتيب الآيات ثم قال: وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف إلى أوله فحسن - بأن يبدأ الصبي بسورة الناس، ثم الفلق ثم الإخلاص وهكذا- وليس هذا من باب قراءة القرآن منكوسا، وإنما جاز هذا للصبيان أو حسن لما فيه من تسهيل الحفظ وتيسيره عليهم والله أعلم، انتهى من التبيان.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا -بعد أن نقل عن العلماء تحريم قراءة السورة منكوسة: ومثله قراءة الختمة منكوسة، وإنما تقرأ بترتيب المصحف لمن يريد قراءة المصحف كله، وفرق بينه وبين قراءة بعضه في الصلاة أو الوعظ فإنه يتخير فيه.

### حكمة ترتيب الآيات والسور:

<sup>1</sup> في علوم القرآن - عبد الفتاح القاضي 72.

وعدت في صدر هذا البحث بذكر كلمة موجزة في بيان حكمه ترتيب الآيات  
والسور ووفاء بهذا الوعد أقول:

إن لهذا الترتيب حكمة إلهية سامية، وسرا عجيبا من أسرار كتاب الله عز وجل،  
ذلك أن ترتيبه هكذا بيان وجه آخر لإعجازه وإبراز أسلوب أعلى أحرص السنة المكابرين،  
وتنسيق نظم أبداع أقر ببلاغته وتفوقه وإغداق أسفله، وإثمار أعلاه، أسبق المعاندين  
في مضمار الفصاحة والبلاغة، وأغلبهم في التحدي بنظم الكلام ونثره - فكان ذلك  
دليلا جديدا، وحجة ناطقة على أن القرآن العظيم كلام الله تعالى وأنه كتاب مبارك  
أنزله على عبده لدبر الناس آياته وليتذكر أولو الألباب.

أجل. إن ترتيب القرآن في التلاوة على هذا الوجه آية بينة على إعجازه، وبرهان  
قاطع على أنه ليس في متناول البشر، ودليل ساطع على أنه قد رقى في البلاغة إلى  
أسمى درجاتها حتى ولى أعداؤه عن تحديه مدبرين<sup>1</sup>.

ذلك أن هذا الترتيب الإلهي التوقيفي قد جعل الآيات والسور جمعها متماسكة  
الاطراف، جيدة السبك، متصلا بعضها ببعض اتصالا محكم العرى لا انفصام لها  
حتى صارت الآيات والسور آخذا بعضها بحجزة بعض آخذا يفوت المعنى القرآني  
البليغ بانفكاكه ..... وكان القرآن العظيم جمعه بعد التوقيف جملة واحدة، وصارت  
كل سورة لا غنى لها عما قبلها، ولا يستغني عنها ما بعدها، وكل آية لا يقع موقعها  
سواها، ولا ريب أن هذه هي الدرجة العليا للبلاغة التي أحرست البلغاء، وأدهشت  
الفصحاء والخطباء من العرب أرباب اللسن، وملوك الكلام.

وأكتفى بهذا الإيجاز عن ضرب الأمثال لأنها تقتضي الإسهاب الذي يخرج بنا عن  
المقصود.

<sup>1</sup> علوم القرآن د. أحمد العلي ص 71.

## المحاضرة السابعة:

### جمع القرآن الكريم وتدوينه

- 1- جمع القرآن الكريم في العهد النبوي.
- 2- جمع القرآن في عهد أبي بكر.
- 3- جمع القرآن في عهد عثمان.
- 4- الفروق بين كل جمع.

## كتابة القرآن:

في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم فيحفظه ويبلغه للناس، ويأمر كتاب الوحي بكتابتها، ويدلهم على موضع المكتوب من سورتها، فيقول لهم: ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة، وضعوا هذه الآية بإزاء تلك الآية، وكان المكتوب يوضع في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ينسخ الكتاب لأنفسهم منه صورة<sup>1</sup>. ثم إن من الصحابة من كان يكتفي بتلقيه من فيه صلى الله عليه وسلم، فيحفظه، ومنهم من كان يكتب السورة، أو الآيات، أو السور، ومنهم من كتبه كله، وحفظه جميعه.

وكانوا يكتبون في العصب<sup>2</sup>، واللخاف<sup>3</sup>، والرقاع<sup>4</sup>، وقطع الأديم<sup>5</sup>، وعظام الأكتاف<sup>6</sup>، والأضلاع<sup>7</sup>.

والذين اشتهروا بكتابة القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الخلفاء الأربعة، ومعاوية بن أبي سفيان وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت قيس وغير هؤلاء من أجلاء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. ولم ينقض عهده صلى الله عليه وسلم إلا والقرآن مكتوب كله بيد أنه لم يكن مجموعا في مكان واحد، ولا مرتب السور.

وإنما لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بجمع القرآن في مصحف واحد لأمرين: الأول: أن اهتمام الصحابة إنما كان بحفظه واستظهاره لا بكتابتها ونقشه.

---

<sup>1</sup> والمقصود من كتابة القرآن في هنا العصر وكذا من معارضة الرسول جبريل به مرة في كل عام، ومرتين في العام الأخير المبالغة في الاحتياط لألفاظ القرآن الشريف، وزيادة الحيلة والاستيثاق من حفظها وضبطها لتكون في مأمن من الضياع.

<sup>2</sup> جميع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض منه.

<sup>3</sup> جميع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الرقاق.

<sup>4</sup> جميع رقعة وتكون من جلد أو ورق أو غير ذلك.

<sup>5</sup> وهو الجلد.

<sup>6</sup> جمع كتف وهو عظم عريض في كتف الحيوان يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم.

<sup>7</sup> جمع ضلع وهو عظم الجنبيين.

الثاني: ما كان يترقبه الرسول صلى الله عليه وسلم من ورود زيادة، أو ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته صلى الله عليه وسلم وأمن مجيء زيادة، أو نسخ -ألهم الله تعالى الخلاء الراشدين أن يجمعوه في مكان واحد وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعارض جبريل بالقرآن مرة في شهر رمضان من كل عام، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين، روى البخاري عن فاطمة رضي الله عنها أنها قالت: "أمر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن جبريل كان يعارض بالقرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجل"، وقد شهد زيد بن ثابت العرضة الأخيرة ولذلك اختاره أبو بكر لجمع القرآن كما سيأتي. والخلاصة أن القرآن كان مكتوبا بأكمله في العصر النبوي، ولكنه لم يكن مجموعا في مصحف واحد ولا مرتب السور، بل كان مفرقا في العصب والرقاع وغيرها كما تقدم، وكان محفوظا في صدور الصحابة، إلا أن منهم من كان يحفظه كله لكثرة ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم، كالخلفاء الأربعة وعبد الله ان مسعود وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة، وزيد بن ثابت، وكثير غيرهم، ومنهم من كان يحفظ معظمه، ومنهم من كان يحفظ بعضه<sup>1</sup>.

### **جمع القرآن:**

في عهد أبي بكر وسببه.

جمع القرآن: تطلق هذه الكلمة على معنيين:

الأول: حفظه في الصدور.

الثاني: كتابته وتدوينه.

وقد تحقق كلا المعنيين في عهده صلى الله عليه وسلم.

**أما المعنى الأول:**

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن - د. فضل عباس ص 112.

فقد تحقق بحفظ الرسول صلى الله عليه وسلم له في صدره وانتقائه على صفحات قلبه، وكذلك بحفظ كثير من الصحابة له في حياته صلى الله عليه وسلم، منهم الأربعة الخلفاء، وطلحة وسعد وحذيفة بن اليمان، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله السائب، وعائشة وحفصة وأم سلمة، وحفظه في حياته صلى الله عليه وسلم أبي ابن كعب ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو الدرداء، ومجمع ابن حارثة وأنس بن مالك وغيرهم.

### وأما المعنى الثاني:

فقد تحقق في حياته صلى الله عليه وسلم أيضا بكتابته كله وتدوينه بين يديه، وإن كان مفرقا في الأحجار والرقاع وغيرها كما سبق، فلم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله محفوظ في صدور معظم أصحابه، ومسجل فيما كتبه فيه من العسب واللخاف وغيرها.

ثم قام بأمر المسلمين بعده أحق الناس به أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمبايعة الصحابة له فحدث في عهده ما نبهه إلى وجوب جمع القرآن الكريم في مصحف واحد خشية عليه من التفرق والضياع، فقد نشبت الحرب بينه وبين أهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب وغيرهم، وكان من أكبر الملاحم التي اشتبكت فيها جموع المسلمين بجموع المرتدين موقعة اليمامة المشهورة وفيها قتل كثير من قراء الصحابة، فلما وصل الخبر إلى المدينة هال ذلك عمر بن الخطاب، فدخل على أبي بكر وأخبره الخبر وبين له ما يخشاه من ضياع القرآن إذا كثرت القتل في قراء الصحابة، واقترح عليه جمع القرآن، فتردد أبو بكر أولا، لأن ذلك أمر محدث لم تكن له سابقة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر أحرص الناس على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومجانبة كل ما لم يفعل.

ولأنه كره أن ينزل نفسه منزلة من يزيد احتياطه في الدين على احتياط الرسول ولكنه بعد نقاش طويل مع عمر رضي الله عنه اقتنع بصواب رأيه وتجلى له وجه المصلحة فيه، وعلم أن ذلك الجمع - وإن لم يعله الرسول - من أكبر وسائل حفظ القرآن الكريم وصيانته من الضياع وأنه ليس فيه شيء من الزيادة على احتياط الرسول،

بل هو مستمد من القواعد التي مهدها رسول الله بتشريع كتابة القرآن الكريم، فأقدم على تنفيذ رأي عمر مراعاة لتلك المصلحة، وكان موفقا غاية التوفيق فيها، كما كان موفقا في غيرها من مهام الأمور التي قام بها.

فأرسل إلى زيد بن ثابت - بعد استشارة عمر - بدعوة إلى كتابة القرآن وجمعه في مكان واحد.

وإنما أثر الصديق زيدا بهذه المنقبة مع أن في الصحابة من هو أكبر سنا، وأقدم إسلاما، وأكثر فضائل لأنه كان من أشهر الصحابة إتقاننا لحفظ القرآن الكريم كله، ووعيا لحروفه، وأداء لقراءاته، وضبطا لإعرابه ولغاته، وكان مداوما لكتابة الوحي للرسول عليه السلام، وشهد العرضة الأخيرة<sup>1</sup> للقرآن في حياته صلى الله عليه وسلم، وكان مع ذلك عاقلا ورعا، كامل الدين والعدالة، مأمونا على القرآن، غير متهم في دينه ولا خلقه، فاجتمع فيه من المزايا والخصائص ما لم يجتمع لغيره من أكابر الصحابة فلذلك اختاره أبو بكر للقيام بهذه المهمة العظمى<sup>2</sup>.

فلما حضر عرض عليه أبو بكر فكرة جمع القرآن واقترح عليه أن يتولى تنفيذها، فتردد زيد في ذلك، وناقش أبا بكر وعمر في هذه الفكرة فمازال به أبو بكر حتى اقتنع بصوابها ووجوب تنفيذها.

وشرع في ذلك، فكان يتتبع القرآن ويطبعه من العسب واللحاف وصدور الرجال ويتحرى أن يكون جمعه بما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريا دقيقا حتى أتم جمعه في صحف.

وإنما كان زيد يتتبع المكتوب في هذه الأشياء مع حفظه القرآن كله مبالغة في الضبط، وزيادة في الاحتياط حتى تكون الكتابة معاضدة للحفظ، مؤازرة له.

وفي ذلك يروي البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أرسل إلى أبو بكر مقتل<sup>3</sup> أهل اليمامة<sup>4</sup> فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه إن

<sup>1</sup> بين في هذه العرضة ما نسخ وما بقي من القرآن.

<sup>2</sup> من علوم القرآن - عبد الفتاح القاضي ص 40.

<sup>3</sup> أي عقب قتل أهل اليمامة، والمراد بأهل اليمامة هنا من قتل بها من الصحابة في الموقعة مع مسيلمة الكذاب.

<sup>4</sup> اسم مكان في بلاد العرب كانت به الموقعة المشهورة بين جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، وجيوش مسيلمة الكذاب، وقد تم فتحها على يد خالد.

عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر<sup>1</sup> يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنني أخشى أن يستحر القتل في قراء القرآن بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف نفع ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد "قال أبو بكر، إنك رجل شاب عاقل. لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنتبع القرآن فاجمعه، قال زيد "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فنتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة<sup>2</sup> الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره "لقد جاءكم رسول من أنفسكم -إلى آخر سورة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

فأنت ترى من هذا الحديث أن جمع القرآن في مصحف واحد لأول مرة كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه وكام قبل ذلك متفرقا في العسب واللخاف وغيرها مما كانوا يكتبون فيه، وكان محفوظا في صدور الرجال، وقد ندب أبو بكر لجمعة زيد بن ثابت لأنه اجتمع فيه من المزايا ما أوجب تقديمه على غيره، واختصاصه بهذا الأمر الجلال كما سبق.

ولما شرع زيد في جمعه اعتمد على مصدرين:

**الأول:** ما كان مكتوبا في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

**الثاني:** ما كان محفوظا في صدور الحفاظ، وكان يتوثق في الأخذ من المکتوب غاية التوثيق، حتى يتيقن أنه مما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه مما ثبت في العرصة الأخيرة، وأنه لم تتسخ تلاوته، ولذلك لم يكن يقبل شيئا من المکتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام الرسول عليه السلام "يدلك على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمان لبن حاطب، قال: "قدم

<sup>1</sup> أي كثر واشتد وروى انه قتل من القراء نحو سبعين، وقيل خمسمائة منهم سالم مولى أبي حذيفة.

<sup>2</sup> وهو غير خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول اله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة اثنين...

عمر<sup>1</sup> فقال من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان، قال الإمام السخاوي في كتابه (جمال القراء) المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعتمد زيد على الحفاظ وحده، ولذلك قال في آخر سورة براءة إنه لم يجدها إلا مع أبي خزيمة، أي لم يجدها مكتوبة إلا معه، مع أنه كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة يحفظونها ولكنه يريد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادة في التوثيق، ومبالغة في الاحتياط، وقد راعى زيد في كتابة هذه الصحف أن تكون مشتملة على ما ثبتت قرآنيته بطريق التواتر واستقر في العريضة الأخيرة، ولم تتسخ تلاوته، وأن تكون مرتبة الآيات والصور جميعاً. وأن تكون مجردة عما ثبتت قرآنيته بطريق الآحاد، وعما ليس بقرآن من شرح وتأويل. وتم جمع القرآن على هذا النحو من صدور الحفاظ، ومما كتب بين يديه عليه السلام بإشراف أبي بكر وعمر.

وكان جمعه في عهد الصديق رضي الله عنه من أجل مناقبة وأفضل مزاياه، لأنه ضمن للمسلمين حفظ كتابهم من التفرق والضياع، ولذلك قال علي رضي الله عنه "أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب اله تعالى" أخرجه ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن.

وإذا أمعنت النظر في صنيع أبي بكر في جمع القرآن في مكان واحد لا تستطيع الحكم عليه بأنه من البدع المستحدثة الخارجة، ولا من الأمور الضارة الممقوتة، بل هو مستمد من القواعد التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم بتشريع كتابة القرآن، واتخاذ كتاب يكتبون له الوحي المنزل، ولذلك قال الإمام أبو عبد الله المحاسي "كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف وغيرهما، وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعة، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها القرآن منتشرا فجمعها جامع وربطها حتى لا يضيع منها شيء، انتهى.

<sup>1</sup> يؤخذ من هذا أن عمر رضي الله عنه كان يؤزر زيد بن ثابت في هذه المهمة وقد دلت الروايات الكثيرة على ذلك.

ظلت هذه الصحف التي جمع فيها القرآن في رعاية الخليفة الأول ابن الخطاب مدة خلافته، ثم عند حفصة بنت عمر بعد وفاة أبيها وبقيت عندها إلى أن ولى مروان المدينة فطلبها منها فأبى، فلما توفيت حضر جنازتها وطلبها من أخيها عبد الله فبعث بها إليه فأمر بإحراقها. وقال: إنما فعلت هذا لأنني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب<sup>1</sup>.

ولم يأمر مروان بإحراق هذه الصحف إلا بعد أمر عثمان رضي الله عنه بنسخ المصاحف الثمانية وإرسالها إلى الأمصار، وأمره بإحراق كل ما عداها من المصاحف والصحف كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

### **جمع القرآن في عهد عثمان وسببه:** بقيت تلك الصحف التي كتبها زيد

يأمر الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند حفصة أم المؤمنين صدرا من خلافة عثمان، ويومئذ اتسعت الفتوح، وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري وهكذا.

فكان بينهم اختلاف في وجوه القراءة، ومنشأ هذا الاختلاف إنزال القرآن على سبعة أحرف كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر، وكان الذي يسمع هذا الاختلاف من أهل تلك الأمصار إذا احتوتهم المجامع، أو التقوا على جهاد أعدائهم يعجب من ذلك، وكان هذا الاختلاف مدعاة إلى فتح باب الفرقة والشقاق بين المسلمين في قراءة القرآن الشريف، فقد كان فريق أنه على، الحق وأن غيره على الباطل، وكان بعضهم يفخر على بعض بقراءته معتقداً أنها الصواب وحدها، فيقول لغيره قراءتي خير من قراءتك، ويرد عليه الآخر بالمثل وهكذا حتى أفضى ذلك بهم إلى تأنيب بعضهم بعضاً، وإنكار بعضهم على بعض، وفي السنة الثانية أو الثالثة - على اختلاف الروايات - من خلافة عثمان رضي الله عنه سنة خمس وعشرين من الهجرة اجتمع أهل الشام وأهل العراق في غزوة أرمينية وأذربيجان وكان

<sup>1</sup> فالغرض من إتلافها سد ذريعة التشكيك والارتياب فلا يستطيع أحد بعد ذلك أن يدعي أن في هذه المصاحف ما يخالفها.

فيمين غزاها مع أهل العراق حذيفة بن اليمان، فرأى كثرة اختلاف المسلمين في وجوه القراءة، وسمع ما كانت تنطق به أسنتهم من كلمات التجريح والتأثيم، حين اختلافهم في أوجه القراءة، فاستعظم ذلك حذيفة وأكبره، ففزع إلى عثمان الخليفة وأخبره بالذي رأى، وقال له، أدرك الناس قبل أن يختلفوا في كتابهم الذي هو أصل الشريعة ودعامة الدين كما اختلف اليهود والنصارى، فأدرك عثمان يثاقب نظره، وحصافة رأيه، أن وراء هذا الاختلاف شرا مستطيرا، وفتنة كبرى لا قبل للمسلمين بهما، وأن هذه الفتنة - إن لم تعالج بالحكمة والحزم - ستجر - لا محالة - إلى أسوأ العواقب وأوخم النتائج، ففكر في علاجها قبل أن يستفحل خطرها ويتفاقم شرها فجمع أعلام الصحابة وذوي الرأي منهم، وأخذوا يبحثون عن علاج لهذه الفتنة، ووضع حد لهذا الاختلاف، فأجمعوا رأيهم على نسخ مصاحف يرسل لكل مصر مصحف منها يكون مرجعا للناس عند الاختلاف وموثلا عند التنازع، وعلى إحراق كل ما عدا هذه المصاحف، وبذلك يستأصل دابر الخلاف، وتجتمع الكلمة وتوحد الصفوف<sup>1</sup>.

ثم شرع عثمان في تنفيذ ما أجمعوا عليه، وندب للقيام بهذه المهمة الخطيرة أربعة من أجلاء الصحابة، وثقات الحفاظ، وهم زيد بن ثابت، وهو الذي اختاره أبو بكر لجمع القرآن لما امتاز به من المناقب السابقة، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام، وهؤلاء الثلاثة قريشيون، وأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف التي عندك فأرسلتها إليهم فأخذوا في نسخها، وجاء في بعض الروايات أن الذين ندبوا لنسخ المصاحف اثنا عشر رجلا من المهاجرين والأنصار، منهم أبي بن كعب.

### قانون عثمان في كتاب المصاحف:

كان نسخ هذه المصاحف بإشراف الخليفة عثمان، وأعلام الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكانوا لا يكتبون في هذه المصاحف شيئا إلا بعد أن يعرض على الصحابة جميعا، ويتحققوا أنه قرآن، وأنه لم تتسخ تلاوته، وأنه استقر في العرصة الأخيرة فلم يكتبوا ما نسخت تلاوته، ولا ما لم يكن في العرصة الأخيرة، ولا ما كانت روايته آحادا،

<sup>1</sup> في علوم القرآن عبد الفتاح القاضي ص 46.

ولا ما ليس بقرآن، كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى، أو بيانا لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك.

وقد كتبوا مصاحف متعددة<sup>1</sup> وسنقفك على عددها قريبا إن شاء الله تعالى لأن عثمان قصد إرسال ما وقع عليه إجماع الصحابة إلى الأقطار الإسلامية، وهي أيضا متعددة، وكتبوا هذه المصاحف متفاوتة في الحذف والإثبات، والنقص والزيادة، وغير ذلك، لأنه قصد اشتمالها على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، وجعلت خالية من النقط والشكل، تحقيقا لهذا الغرض أيضا.

فالكلمات التي اشتملت على أكثر من قراءة، وخلوها من النقط والشكل يجعلها محتملة لما اشتملت عليه من قراءات، كتبوها برسم واحد في جميع المصاحف، وذلك نحو "فتبنوا" في الحجرات و "نشرها" في البقرة، و "هيت لك" و "أف" في الإسراء والأنبياء والأحقاف.

أما الكلمات التي وردت على قراءتين أو أكثر، وتجريدها من النقط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من القراءات فلم يكتبوها برسم واحد في جميع المصاحف.

وإنما كتبوها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعضها برسم آخر يدل على القراءة الأخرى نحو " وأصى بها إبراهيم، في البقرة رسمت في بعض المصاحف بواوين قبل الصاد من غير ألف بينهما، وفي بعضها بإثبات الألف بين الواوين، ونحو "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم" بآل عمران: رسم في بعض المصاحف بواو قبل السين، وفي بعضها بحذف الواو، ونحو: "فإن الله هو الغني" في الحديد كتب في بعض المصاحف بإثبات ضمير الفصل، هو، وفي بعضها بحذفه. وإنما لم يكتبوا هذا النوع من الكلمات برسمين معا، في مصحف واحد خشية أن يتوهم أن اللفظ نزل مكررا بقراءة واحدة وليس كذلك، بل هما قراءتان، نزل اللفظ في أحدهما بوجه، وفي الثانية بوجه آخر، من غير تكرار في واحد منهما.

<sup>1</sup> الفرق بين الصحف والمصحف أن الصحف جمع صحيفة، وهي القطعة من الورق أو غيره يكتب فيه، والمصحف هو جامع للصحف فهو ملاحظ فيه دفناه، وهما جلده اللذان يتخذان لجمع أوراقه، وضبط صحفه، هذا معناهما في أصل اللغة أما في الاصطلاح فالمراد بالصحف الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد الصديق،

وكذلك لم يكتبوا هذه الكلمات برسمين أحدهما في الأصل، والثاني في الحاشية لئلا يتوهم أن الثاني تصحيح للأول، وأن الأول خطأ.

على أن كتابة أحدهما في الأصل، والآخر في الحاشية تحكم وترجيح بلا مرجع، والذي دعا الصحابة إلى سلوك هذا المنهج في كتابة المصاحف أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع وجوه قراءاته وحروفه التي نزل بها. فكانت هذه الطريقة أدنى إلى الإحاطة بالوجوه التي نزل عليها القرآن الكريم، وحينئذ لا يقال إنهم أسقطوا شيئاً من قراءاته، لأنها كلها منقولة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن هنا يتضح جلياً أن اختلاف القراء الذي أفرغ حذيفة وعثمان، كان سبباً في كتابة المصاحف -إنما كان في أحرف وقراءات تلقاها قراؤهم قبل العرضة الأخيرة ثم نسخت بهذه العرضة، ولكن نسخها لم يبلغ هؤلاء القراء. وإلا لو كان مقصد عثمان جمع الناس على حرف واحد وإلغاء باقي الأحرف التي نزل بها القرآن الكريم ما جعل المصاحف متفاوتة في الزيادة والنقص، والإثبات والحذف إلى آخر ما سبق، فكتابة المصاحف على هذه الكيفية دليل قاطع على أن عثمان أراد جمع الناس على ما تواتر من القراءات، دون ما نسخ أو أشد منها. وسيأتي لذلك مزيد بحث إن شاء الله.

وكان من قانون عثمان في كتابة المصاحف أيضاً أنه قال لهؤلاء القرشيين الثلاثة "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم" ففعلوا، وقد ورد أنهم اختلفوا في كتابة "التابوت" في قوله تعالى في سورة البقرة "إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت -الآية فقال زيد "التابوه" بالهاء.

وقال القرشيون بالناء المفتوحة، فرفعوا أمرهم إلى عثمان فأمرهم أن يكتبوه بالناء المفتوحة لأنه كذلك في لغة قريش.

ولما أتموا نسخ الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة أم المؤمنين، وأرسل إلى كل أفق من الآفاق الإسلامية مصحفاً مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق سداً لبابه الشر والفتنة، وحسماً لمادة النزاع، وحملاً للمسلمين على أن يجعلوا هذه المصاحف مرجعهم الوحيد، وأصلهم المعتمد في ذلك يروي البخاري أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة،

فقال حذيفة لعثمان: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلوا في الكتابة اختلاف اليهود والنصارى"، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد ابن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمان ابن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهب القشيين إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. انتهى.

وروى أبو قلابة أن عثمان رضي الله عنه كتب إلى أهل الأمصار يأمر بمحو ما عندهم بما يخالف مصحفه، ولكن أكثر الروايات على أنه أمرهم بإحراقها. قال بعض الأفاضل: وإنما لم يحرق عثمان صحف حفصة كما أحرق غيرها لأن هذه الصحف اعتبرت مصدرا واصلًا لمصحفه وانعقد عليها إجماع الصحابة، وأما غيرها فقد تكون مخالفة لمصاحفه فتكون سببا للاختلاف.

**الفرق بين كتابة القرآن في العهد النبوي:** وكتابته في عصري الخلفتين الأول والثالث بقليل من التأمل فيما سبق تعرف أن القرآن الكريم جمع - بمعنى كتب - ثلاث مرات:

\_\_\_الأولى: في العهد النبوي الشريف.

الثانية: في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الثالثة: في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وبقليل من التأمل فيما سبق أيضا تستطيع أن تفرق بين كتابة القرآن في هذه العهود الثلاثة، فالجمع في العهد النبوي عبارة عن كتابة الآيات، وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها، ولكن مع بعثرة الكتابة وتفرقها بين عصب وعظام وغيرها كما تقدم وكان المقصود من كتابة القرآن في هذه الأشياء زيادة التحري في ضبط ألفاظه، وحفظ كلماته، فوق ما في ذلك من تقديس القرآن والتبنيه على سمو قدره ورفع شأنه كما هو الشأن في تقييد الأشياء النفيسة، وإن كان المعول عليه في ذلك الوقت مجرد الحفظ في الصدور. والجمع في عهد الصديق أبي بكر عبارة عن نقل القرآن

جميعه وكتابته في مكان وهو الصحف مرتب الآيات والسور، مقتصرًا فيه على ما ثبتت قرآنيته بطريق التواتر، وكان الغرض منه الاحتياط والمبالغة في حفظ هذا الكتاب خوفًا عليه أو على شيء منه بموت حملته وحفاظه. أما الجمع في عهد الخليفة عثمان فهو عبارة عن نقل ما في الصحف السابقة في مصاحف، وإرسال هذه المصاحف إلى الأقطار، وكان المقصود من جمع القرآن وكتابته في هذه المصاحف أن يجتمع المسلمون في قراءة القرآن على ما تضمنته هذه المصاحف من القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر، ويترحموا ما عداها من القراءات التي نزلت أولاً للتيسير على الأمة ثم نسخت بالعرضة الأخيرة تلك القراءات التي كان يقرؤها من لم يبلغه نسخها، وكانت مثار فرقة وشقاق بين المسلمين وبذلك يقضي على الفتنة التي ظهرت في صفوف المسلمين، وتوحد كلمتهم، هذه المصاحف مرجع المسلمين يحتكمون إليها عند الاختلاف ويلجئون إليها عند التنازع. قال القاضي أبو بكر الباقلاني "لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في نفس جمع القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمع المسلمين على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك، وأخدمهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على ما يأتي بعد<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن د. فضل عباس ص 128.

## المحاضرة الثامنة:

### أسباب النزول

- عريف أسباب النزول
- طريق معرفة أسباب النزول
- فوائد معرفة أسباب النزول
- تعدد الروايات وكيفية الترجيح.

## أسباب النزول:

### أولاً: تعريف سبب النزول:

سبب النزول، هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه<sup>1</sup>. أي الحوادث والظروف والملابسات التي أدت إلى نزول تلك الآيات، وهي أنواع شتى منها:

1- الأسئلة التي توجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم سواء كان ذلك من الكفار أو المؤمنين.

فمن الأول: سؤالهم عن الروح.

ومن الثاني: سؤالهم عن المحيض.

2- الحوادث التي تحدث فتقضي نزول القرآن لبيان حكم الله عز وجل فيها، وذلك أيضاً قد يكون تصرفاً من تصرفات الكفار، وقد تكون تصرفاً من تصرفات المؤمنين أو النبي صلى الله عليه وآله نفسه.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾. [النساء: 51]، فإنها نزلت في يهود: قال الإمام أحمد يسنده: عن ابن عباس: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش ألا ترى هذا الصنوبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؟ قال أنتم خير، فنزلت: ﴿إن شأنك هو الأبت﴾، ونزل: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾. الآية<sup>2</sup>.

ومن الثاني: ما رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير وعبد بن حميد عن هشام ابن عروة عن أبيه قال: في قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾. [البقرة: 229].

قال: كان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها ما شاء ما دامت في العدة، وإن رجلا من الأنصار غضب على امرأته فقال: والله لا أويك ولا أفارقك، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فإذا دنا أجلك راجعتك ثم أطلقك فإذا دنا أجلك راجعتك، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزو وجل ﴿الطلاق مرتان﴾.

<sup>1</sup> مناهل العرفان. ج 1 . 106. ط دار الفكر. 1408 هـ . 1988.

<sup>2</sup> انظر: تفسير ابن كثير. ج1. 777. ط. دار الكتب العلمية. 1408 هـ 1988 م.

ومن الثالث: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان قد حرم سريرته مارية على نفسه، وذلك بإلحاح من بعض أزواجه غيرة منهن، فأُنزل الله عز وجل: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) الآية.

ومنه أيضا: ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول: اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد فأُنزل الله: ﴿ليس لك من الأمر شيء...﴾ إلى ﴿إنهم ظالمون﴾<sup>1</sup>.

3- وقد تكون بعض الحوادث تمنيا من التمنيات، ورغبة من الرغبات، كمواقفات عمر رضي الله عنه، ومنه ما أخرجه البخاري في صحيحه وغيره عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه، وافقت ربي في ثلاث أو وافقتني ربي في ثلاث: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأُنزل الله آية الحجاب. قال: وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلن عليهن، قلت: إن انتهيتن أو لبيدتن الله رسوله خيرا منكن، حتى أتيت إحدى نساءه قالت: يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأُنزل الله: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات﴾.

#### ثانيا: طريق معرفة سبب النزول:

لا يمكن معرفة سبب النزول عن طريق الاجتهاد وإنما يعرف عن طريق النقل والرواية عن عاصروا التنزيل وشاهدوا الوحي وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ولا يجوز لأحد مهما كانت مواهبه العقلية أن يقول في أسباب النزول من غير رواية عن الصحابة، فقد روى أصحاب السنن بسند حسن عن جندب بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ). وروى الترمذي بسند صحيح أيضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من

<sup>1</sup> انظر: فتح الباري. لابن حجر. ج 9، 92، رقم: 4559، 4560، ط: دار الفكر. 1411 هـ 1991.

قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار<sup>1</sup>.

ويؤيد هذين الحديثين نصوص من القرآن منها:

1- قوله تعالى: ﴿إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾. [الأعراف: 33].

2- قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾. [الإسراء: 36].

لذلك كله روى عن محمد بن سيرين أنه قال: "سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن"<sup>2</sup>.

**ثالثا: فوائد معرفة أسباب النزول ودورها في التفسير:**

لمعرفة أسباب النزول فوائد جمة، أهمها ما يأتي:

1- معرفة الحكمة لله في التشريع، إذ بذلك تظهر المصالح والفوائد التي من أجلها شرعت الأحكام التي نزلت بها الآيات.

2- تيسير حفظ الوحي وتسهيل فهمه، إذ بذلك يرتبط السبب بالمسبب، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة، وهذا كله مما يساعد على تقرير المعلومات وانتقاشها في الذهن وعلى سهولة استذكارها.

3- رفع الإشكال عن ظواهر بعض الآيات التي تبدو بدون معرفة أسبابها مشكلة، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾. [آل عمران: 188].

روى البخاري والترمذي: أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن العباس فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبين أجمعين، فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهودا فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه

<sup>1</sup> انظر: التاج الجامع للأصول. ج4: 36، م، س.

<sup>2</sup> الإتيان. ج1. 31، م، س.

فيما سألهم ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، وتلا ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾.

ب) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾. {البقرة: 158}، روى بخاري ومسلم وأصحاب السنن عن عروة أنه قال: قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ حديث السن، أ رأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾، فما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة حذو قديد، وكانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ .

ج) وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، قد يبدو غريبا، لكن الآية نزلت علاجاً لعادة من عادات الجاهلية<sup>1</sup>.

روى البخاري عن البراء بن عازب، قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ .

رابعا: عبارة الرواة وتفاوتها في الدلالة على السببية:

تختلف عبارات الرواة في التعبير عن سبب النزول، وهي متفاوتة في قوة دلالتها على السببية.

فالدرجة الأولى: أن يصرح الراوي بلفظ السبب فيقول: سبب نزول هذه الآية كذا. وهذا نص في السببية لكن قلما ترد الروايات بذلك .

والدرجة الثانية: أن يأتي الراوي بإلغاء داخله على مادة نزول الآية عقب سرد القصة أو ذكر الحادثة، فيقول مثلا: حصل كذا وكذا فنزلت الآية، وهذه العبارة مثل

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن ص 134.

الأولى في الدلالة على السببية، وهي أكثر ما يأتي من صيغ التعبير عن سبب النزول ومن أمثلته، ما أوردناه في فوائد معرفة أسباب النزول، وخاصة الثاني والثالث. والدرجة الثالثة: أن يذكر الراوي أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن شيء فأوحى إليه بقرآن، ثم يتلوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أنزل عليه أو يجيب بما أوحى إليه، ولا يأتي الراوي بحرف الفاء، وهذا أيضا ظاهرة الدلالة على سببية السؤال لنزول ذلك الوحي.

ومن أمثلة حديث ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من يهود، فقال بعضهم: سألتموه، فقال: لا تسألوه، فإنه يسمعكم ما تكرهون، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن الروح، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾. رواه الترمذي والبخاري ومسلم.

الدرجة الرابعة: ألا يصرح بذكر السبب، ولا يأتي بالفاء، ولا يذكر أن الجواب مبني على السؤال، لكن يقول: نزلت هذه الآية في كذا. وهذا ليس نصا في سبب النزول ولا ظاهرا فيه، بل هو محتمل للسببية ومحتمل لكونه تفسيراً من الصحابي وتأويله منه للآية<sup>1</sup>.

قال ابن تيمية رحمه الله: قولهم نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول عني بهذه الآية كذا؟.

وقال الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله: إن الصحابة والتابعين كثيرا ما كانوا يقولون: نزلت الآية في كذا وكذا، وكان غرضهم تصوير ما صدقت عليه الآية، وذكر بعض الحوادث التي تشملها الآية بعمومها سواء تقدمت القصة أو تأخرت، إسرائيليا كان ذلك أو جاهليا أو إسلاميا، استوعب جميع قيود الآية أو بعضها<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن، د. فضل عباس ص 151.

<sup>2</sup> انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير، للشيخ الإمام شاه ولي الله الدهلوي. ط. مجلة الأزهر. شعبان 1404هـ.

ومن أمثلة هذا: حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به راحلته وهو جاء من مكة إلى المدينة ثم قرأ ابن عمر: ﴿والله المشرق والمغرب...﴾ الآية، رواه الترمذي بسند صحيح. ومنه أيضاً حديث أبي ذر في قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربم فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم \* يصهر به ما في بطونهم والجلود \* ولهم مقامع من حديد﴾ [الحج: 19-21]، فقد كان يقسم إن هذه الآية نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر.

هل العبرة بعموم اللفظ؟ أم بخصوص السبب؟.

رأي الجمهور أن العبرة بعموم اللفظ للأسباب الآتية:

- 1- الأدلة الكثيرة المعلومة من الدين بالضرورة، الدالة على عموم أحكام الشريعة لجميع الناس، في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة.
- 2- أن أكثر المعلومات وردت على أسباب خاصة، فأية السرقة نزلت في سرقة المحجن أو رداء صفوان، وآية الظهار نزلت في خولة بنت مالك وزوجها أوس ابن الصامت الذي ظاهر منها، وآيات اللعان نزلت في هلال بن أمية، إلى غير ذلك، ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم عمموا أحكام هذه الآيات من غير نكير، فدل ذلك على أن السبب غير مسقط للعموم، ولو كان مسقطا للعموم لكان إجماع الأمة على التعميم خلاف الدليل، ولم يقل أحد بذلك<sup>1</sup>.

**سادساً: في حكم تعدد الأسباب لنازل واحد أو العكس:**

روايات أسباب النزول تنقسم إلى أقسام:

**القسم الأول:** أن يأتي سبب نزول واحد لآية أو مجموعة من الآيات، وهذا هو الغالب، ولا إشكال في هذا.

**القسم الثاني:** أن تأتي أسباب نزول متعددة لنازل واحد، فهنا يسلك في هذه

الروايات أحد طريقتين:

\* الترجيح.

\* التوفيق.

<sup>1</sup> علوم القرآن أحمد العلمي ص 59.

الأول : هو الترجيح.

ويكون ذلك في الحالات الآتية:

أ) أن تكون إحدى الروايتين صحيحة والأخرى ضعيفة، فترجح الصحيحة على الضعيفة، ويمكن التمثيل لذلك بما يأتي:

1- ما أخرجه الشيخان عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: "اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أراه قريبا منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله: ﴿والضحى والليل إذا سجى \* ما ودعك ربك وما قلى﴾ الآية.

2- وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة عن حفص بن ميسرة عن أمه عن أمها، - وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم - أن جروا دخل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة، ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل لا يأتيني "فقلت في نفسي: لو هيات البيت وكنته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترعد لحيته، وكان إذا أنزل عليه أخذته الرعدة"، فأنزل الله: ﴿والضحى - والليل إذا سجى... إلى قوله تعالى: فترضى﴾ وفي إسناد هذا الحديث من لا يعرف وهي أم حفص، فالراجح هو الأول.

ب) أن تكون الروايتان صحيحتين، ويكون لإحدهما مرجح فيؤخذ بالراجح، ومن أمثلة ذلك: ما جاء في نزول آية الروح.

1- فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود. فقال بعضهم لبعض، سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي، قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾.

2- وأخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا

شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: اسأله عن الروح، فسأله فأنزل الله: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية، وهذا يقتضي أنها نزلت بمكة، والأول خلافة، ورجح الأول لأن رواية البخاري أصح، ولأن ابن مسعود كان شاهد القصة وحاضرها خلاف الثانية.

الثاني: الجمع:

ويكون ذلك في الحالات الآتية:

أ- أن تصح الروايتان، ولا يكون لأيهما مرجح، ويمكن نزولهما عقب السببين أو الأسباب، فيجمع بينهما بتعدد الأسباب، ومن أمثلة ذلك، ما جاء في سبب نزول آية اللعان.

1- روى البخاري والترمذي عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشريك بن السمحاء، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: البينة وإلا حد في ظهرك. فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق رجلاً يلتمس البينة؟ فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: البينة وإلا حد في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فليزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: ... ﴿والذين يرمون المحصنات...﴾ الآية فقرأ حتى بلغ (إن كان من الصادقين) فانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟ ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة، قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفصح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خدلج الساقين، فهو لشريك بن سمحاء" فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن"<sup>1</sup>.

2- وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد أن عويمرا أتى عاصم بن عدي، وكان سيد بني عجلان، فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقنته

<sup>1</sup> انظر: فتح الباري، ج9. ج رقم 4747، م، س.

فنتقلونه أم كيف يصنع؟ سل رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك. فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسائل عويمر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كره المسائل وعابها، قال عويمر: واله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، ف جاء عويمر فقال: يا رسول الله : رجل وجد مع امرأته رجلا، أيقنته فنتقلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك" فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالملاعنة بما سمي الله في كتابه فلاعنها، ثم قال: يا رسول الله: إن حسبتها فقد ظلمتها، فطلقها فكانت سنة لمن كان بعدها في المتلاعنين، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظروا فإن جاءت به أسحم أو أدعج العينين عظيم الأليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وجرة فلا أحسب عويمرا إلا كذب عليها "فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر، فكان ينسب إلى أمه.

فهاتان روايتان صحيحتان في صحيح البخاري يجمع بينهما بأن الحادثتين وقعتا معا في زمن متقارب، فنزلت الآية فيهما، ويمكن أيضا أن تكون الآية نزلت أولا في قصة هلال، ثم حدثت الثانية بعيدها فطبقتها النبي صلى الله عليه وسلم ليهما وهذا، والله أعلم هو الأقرب.

ب- أن تصح الروايتان مع عدم وجود مرجح ومع تباعد الزمن بينهما، فيجمع بينهما حينئذ بتعدد النزول، وقد مثل له السيوطي في الإتيان بالآتي:  
 ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين...﴾ [التوبة: 113] الآية.

1- روى البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أي عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لأستغفرن لم ما لم أنه

عناك" فنزلت: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾<sup>1</sup>. وربما كان المثال الصحيح لذلك ما رواه البخاري في صحيحه في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾. [آل عمران: 77].

فقد روى البخاري ومسلم والترمذي عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: في أنزلت هذه الآية: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله...﴾ كانت ي بئر في أرض ابن عم لي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بينناك أو يمينه فقلت: إذن يحلف يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من حلف على يمين صبر ليقطع بها مال امرئ مسلم وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان".

وروى البخاري أيضا عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلا أقام سلعة في السوق، فحلف لقد أعطى فيها ما لم يعطيه ليوقع فيها رجلا من المسلمين، فنزلت ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا...﴾ الآية. القسم الثالث: أن يتعدد النازل مع اتحاد السبب:

وهذا عكس ما تقدم، وهو أن تنزل آيات أو آيتان فيسبب واحد، ومن أمثلته ما يأتي:

أ) ما نزل في سؤال أم سلمة:

1- أخرج الترمذي والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة، وكانت أم سلمة أول ظعينة هاجرت إلى المدينة، فأنزل الله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض﴾.

2- وأخرج الحاكم عنها أيضا قالت: قلت يا رسول الله تذكر الرجال ولا تذكر النساء، فأنزل الله: ﴿إن المسلمين...﴾ وأنزلت: ﴿أنثى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض﴾.

<sup>1</sup> انظر: فتح الباري. ج9. 241-242. حديث رقم 4675، م س.

3- وأخرج الحاكم عنها أيضا قالت: تغزوا الرجال ولا تغزوا النساء، وإنما لها نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله بفضله على بعض...﴾ وأنزل ﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾<sup>1</sup>.

(ب) ما نزل في بعض المنافقين:

1- أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا في حجرة، فقال: إنه سيأتكم إنسان ينظر بعيني شيطان، فطلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا، حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا...﴾ الآية<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن د. فضل عباس ص 144.

<sup>2</sup> جامع البيان للطبري، ج 10، 128، ط: دار المعرفة. بيروت 1407هـ. 1987م.

## المحاضرة التاسعة:

### النسخ

- 1- في تعريف النسخ.
- 2- في شروط النسخ.
- 3- في الفرق بين النسخ والبداء.
- 4- في الفرق بين النسخ والتخصيص.
- 5- في طرق معرفة النسخ.
- 6-4-6 مجالات النسخ
- 6- في أنواع النسخ مطلقا.
- 7- في أنواع النسخ الوارد في القرآن

## الفقرة الاولى: في تعريف النسخ:

النسخ لغة: له معنيان:

1- الإزالة: يقال نسخت الشمس الظل، أي أزالته ونسخت الرياح آثار الديار، أي غيرتها، قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [الحج: 52]. وقوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: 106].

2- النقل: يقال نسخ الكتاب واستنسخه أي نقل ما فيه وكتبه في أوراق أخرى، ومنه قوله تعالى: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾<sup>1</sup>.  
وأما النسخ في الاصطلاح، فقد عرفوه بتعريفات مختلفة من أحسنها ما يأتي:  
1- إنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم، على وجه لولاه لكان ثابا مع تراخيه عنه<sup>2</sup>.

2- إنه عبارة عن خطاب الشارع المانع من استمرار ما ثبت من حكم خطاب شرعي سابق. وهذا هو اختيار الأمدى.

3- رفع الشارع حكما شرعيا بدليل متراخ.  
وهذه التعريفات كلها متقاربة تدل على حقيقة واحدة، وإن اختلفت عباراتها في الدقة، والتعريف الثاني أوجز وأدق.

## الفقرة الثانية: في شروط النسخ:

يستخلص من التعريفات المتقدمة أن النسخ لا يتحقق إلا بعد توفر الشروط الآتية:  
1- أن يكون المنسوخ حكما شرعيا، فلا نسخ في الأخبار، وإنما يكون النسخ في الأمر والنهي ولو جاء في صيغة الخبر، فالعبرة بالمعنى والمضمون.

2- أن يكون الناسخ خطابا شرعيا، فلا نسخ بالدليل العقلي ولا العرفي.

2- أن يكون الناسخ متراخيا عن دليل الحكم المنسوخ، غير متصل به اتصال

<sup>1</sup> انظر: مختار الصحاح. للرازي: 273-274. ط: دار القيس. بيروت بدون تاريخ، والمعجم الوسيط. ج2. 917. ط، س.

<sup>2</sup> علوم القرآن د. أحمد العلمي ص 84.

القيد بالمقيد.

4- أن لا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدا بوقت معين.

5- أن يكون بين الدليلين تعارض حقيقي، بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال إلا بارتفاع أحدهما<sup>1</sup>.

**الفقرة الثالثة: في الفرق بين النسخ والبداء:**

**البداء لغة: له معان:**

**أ) الظهور:** يقال بدا بدوا وبداء أي ظهر.

**ب) نشوء رأي جديد لم يكن موجودا من قبل.** يقال : بدا له في الأمر كذا بداء، أي نشأ فيه رأي، وهو ذو بدوات.

**ج) الخروج إلى البادية.** يقال: بدا فلا بدوا وبداءة. أي: خرج إلى البادية.

والبداء في الاصطلاح: هو مرادف للمعنى الثاني الذي ذكرناه في التفسير اللغوي، وهو نشوء رأي جديد لم يكن من قبل.

واليهود - عليهم لعنة الله - ينكرون النسخ ظنا منهم أنه نوع من أنواع البداء، أي فكان النسخ عندهم يدل على الجهل وعدم إحاطة العلم، وتغير الرأي. وليس الأمر كما ظنوا، فإن تغيير أحكام الله الشرعية مثل تغير أحكامه الكونية. فكما أن الإمامة بع الإحياء، والفقر بعد الغنى أو عكسه، والصحة بعد المرض أو عكسه وغير ذلك من الأحكام الكونية القدرية لا تدل على البداء، وكذلك تغير الأحكام الشرعية، فأحكام الله عز وجل وأفعاله في خلقه تتغير لا لتغير في علمه، ولكن لكمال علمه بما يصلح لعباده، فتتغير أحكامه الشرعية تبعا لتغير أحوال عباده التي تقتضي مصلحتهم تغييرها. وأما الشيعة الرافضة فقد ذكر العلماء أنهم يعتقدون في البداء وينسبونه إلى الله عز وجل، تعال الله عما يقولون علوا كبيرا.

فالفرق بين النسخ والبداء إذن: هو أن البداء تتغير الأحكام معه، تبعا لتغير الأحوال والظروف تغيرا مفاجئا، فهو إذن يدل على قصور في العلم.

وأما النسخ فهو تغيير الأحكام لتغيير الأحوال والظروف مع العلم بذلك فالنسخ على هذا نوع من أنواع البيان يدل على انتهاء مدة الحكم الأول، تبعا لانتهاء مدة

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن فضل عباس ص 206..

صلاحيته، طبقاً لما تقتضيه سياسة التدرج في تربية الشعوب والمجتمعات، فالنسخ يدل على انتهاء مدة الأحكام المرحلية<sup>1</sup>.

ما يدخله النسخ من الأحكام وما لا يدخل:

لذلك قرر العلماء أن النسخ إنما يدخل في فروع الأحكام من العبادات والمعاملات، وأنه لا يدخل في الموضوعات الآتية:

1- العقائد، لأنها حقائق ثابتة لا تقبل التغيير والتبديل.

2- أصول الأخلاق، لأنها ثابتة يحتاج إليها البشر في كل زمان ومكان.

3- أصول العبادات والمعاملات، كالصلاة والإحسان إلى الناس والتعاون على البر والتقوى.

4- الأخبار المحضة، لأن نسخها يدل على الكذب، وهذا لا يمنع الإخبار عن أمر واحد بأوصاف مختلفة، إذ كان مما تختلف أحواله وصفاته حسب اختلاف ظروفه وأطواره<sup>2</sup>.

#### الفقرة الرابعة: في الفرق بين النسخ والتخصيص:

وكما يشتبه النسخ بالبداة عند بعض الناس، فكذلك يشتبه بالتخصيص، لذلك أنكر بعض من يقول بالتخصيص النسخ مع إدراجه في أمثلة التخصيص بعض ما يندرج تحت النسخ، وكذلك غالى بعض القائلين بالنسخ، فعد من أمثله ما هو في حقيقته من أمثلة التخصيص، لذلك يجب ذكر ما يفترق به الامران، ويتلخص فيما يأتي:

1- أن النسخ يشترط تراخي الناسخ فيه عن المنسوخ، ولا يشترط ذلك في

المخصص، بل يجوز اقترانه بالعام، وقد يلزم كما في التخصيص بالصفة والشرط وغيرهما.

2- أن النسخ لا يكون إلا بخطاب شرعي جديد، وأما التخصيص فقد يقع بغير خطاب، كالتخصيص بالقياس، وبالعقل، وبالعرف المقارن للخطاب.

3- أن النسخ لا يدخل الأخبار الحقيقية، وإنما يدخل على الإنشاء أو الخبر الذي في معنى الإنشاء بخلاف التخصيص فإنه يدخل في الخبر والإنشاء معا.

<sup>1</sup> م، س. مناهل العرفان. للزرقاني. ج2. 180-184.

<sup>2</sup> انظر: مناهل العرفان. ج2. 211-212. م، س. مباحث في علوم القرآن. لمناع القطان: 239. م، س.

4- أن المتواتر لا ينسخ إلا بالمتواتر، بخلاف التخصيص فإنه يجوز بالمتواتر وبالآحاد، سواء كان العام متواترا أو آحادا<sup>1</sup>.

5- أن العام يجوز نسخ حكمه حتى لا يبقى منه شيء، بخلاف التخصيص.

6- أن حكم ما خرج بالتخصيص لم يكن مرادا من العام أصلا فالعموم فيه مجاز بخلاف ما خرج بالنسخ، فإنه كان مرادا من المنسوخ لفظا<sup>2</sup>.

#### الفقرة الخامسة: في طرق معرفة النسخ:

طريق معرفة النسخ هو النقل وحده، فلا يجوز القول بالاجتهاد المحض والقياس في الناسخ والمنسوخ، وتفصيل ذلك كما يأتي:

أ- أن يكون في أحد النصين ما يدل على نسخ الآخر، وذلك كما في الأمثلة الآتية:

- قوله تعالى: ﴿يا أيها النبيء حرص المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾. [الأنفال: 65].

- ثم قال تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾. [الأنفال: 66].

- قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأظهر فإن لم تجدوا فإن اله غفور رحيم﴾. [المجادلة: 12].

- ثم قال تعالى: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون﴾. [المجادلة: 13].

(ب) أن ينعقد إجماع صحيح من الأمة على تعيين المتقدم من النصين، والمتأخر منهما.

(ج) أن يرد من طريق صحيح عن أحد الصحابة ما يدل على تعيين السابق أو

<sup>1</sup> انظر: مذكرة في أصول الفقه لمحمد الأمين الشنقيطي. 81-82. ط: مكتبة ابن تيمية 1409هـ. 1989 م.

<sup>2</sup> أصول التفسير، محمد كبير يونس ط1 دار الأمة ص 87-88.

اللاحق من النصين المتعارضين، كأن يقول نزلت هذه الآية سنة كذا أو في غزة كذا، وكان معروفا سبق الآية الأخرى، أو تأخرها عنها<sup>1</sup>.

ما لا يعتمد عليه في معرفة الناسخ والمنسوخ:

هناك طرق واهية قد يعتمد عليها بعض الناس، فيضنها موصلة إلى معرفة الناسخ والمنسوخ وهي كذلك لذلك نبه العلماء عليها من أهمها ما يأتي:

1- الاجتهاد المحض: كما سبق ذكره.

2- قول الصحابي: هذا ناسخ وهذا منسوخ، من غير ذكر التاريخ، أو تعيين السابق أو اللاحق كما سبق، إذ يجوز حينئذ أن يكون صادرا في ذلك عن اجتهاده.

3- تقدم أحد النصين على الآخر في ترتيب المصحف، لأن سور القرآن وآياته لم ترتب حسب أسبقية النزول، وإنما رتب حسب المناسبة وهو توقيفي.

4- قول المفسرين: هذا ناسخ، وهذا منسوخ من غير ذكر الدليل.

### الفقرة السادسة: في أنواع النسخ مطلقا:

الناسخ مع منسوخه ينقسم إلى الأقسام الآتية:

الأول: نسخ القرآن بالقرآن، وذلك كما في الأمثلة التي مر ذكرها في الفقرة

الخامسة.

الثاني: نسخ القرآن بالسنة وهو قسمان<sup>2</sup>:

1- نسخ القرآن بالسنة المتواترة، وقد أجازوه مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية عنه، ومنعه الشافعي والظاهرية وأحمد في رواية أخرى عنه، وليس لهذا النوع مثال صحيح سالم من الاعتراض.

2- نسخ القرآن بالسنة الأحادية، والجمهور على عدم جوازه، لأن القرآن قطعي الثبوت والسنة الأحادية ظنية فلا تقوى على نسخه، وليس لهذا النوع أيضا مثال صحيح سالم من الاعتراض.

الثالث: نسخ السنة بالقرآن:

ومن أمثلة هذا النوع ما يأتي:

<sup>1</sup> مناهل العرفان 2/ 209-210.

<sup>2</sup> أصول التفسير - محمد كبير يونس ص 94.

1- نسخ واستقبال بيت المقدس باستقبال المسجد الحرام، فإن الأول ثبت بالسنة، والثاني ثبت بالقرآن.

2- نسخ عدم جواز الأكل والشرب والجماع في الليالي رمضان، بعد النوم بجوازه فالأول ثبت بالسنة والثاني ثبت بالقرآن.

3- نسخ ما شرطه النبي صلى الله عليه وسلم لقريش في صلح الحديبية من وجوب رد ما جاءه من أهل مكة مسلماً، بعدم رد النساء إذا جنن مؤمنات، وذلك بأية الامتحان (المتحنة: 10) وتسمية هذا تخصيصاً أولى.

الرابع: نسخ السنة بالسنة: وهو أقسام أيضاً.

1- نسخ المتواتر بالمتواتر.

2- نسخ الآحاد بالآحاد.

3- نسخ المتواتر بالآحاد.

وقد اتفق العلماء على جواز الأنواع الثلاثة الأولى، واختلفوا في الرابع، وهو غير جائز عند الجمهور، لأن الضعيف لا يرفع القوي<sup>1</sup>.

**الفقرة السابعة: في أنواع النسخ الوارد في القرآن الكريم.**

ذكر العلماء أن النسخ في القرآن الكريم يأتي على ثلاثة أنواع:

**الأول: نسخ التلاوة والحكم معاً.**

ومن أمثله: ما رواه مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن "تعني لتأخر نسخهن حتى أن بعض الناس استمر يقرؤها حتى بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعرف أنها نسخت لعدم بلوغ الخبر إليه".

**الثاني: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، وقد مثلوا له بالآتي:**

1- آية الرجم: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم".

<sup>1</sup> ارجع في هذا كله إلى مناهل العرفان. ج2. 236-248. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان 243-244. م، س الإحكام. للآمدي ج3. 132-144 م، س.

2- ما جاء في الصحيحين عن أنس قال في قصة أصحاب بئر مؤونة، الذين قتلوا وقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو على قاتلهم، قال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع: "أن بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا" ثم نسخت<sup>1</sup>.

3-والصحيح: أن الآية إذا نسخت تلاوتها نسخ معها حكمها، وأما بقاء حكمها واستمراره كالرجم مثلا، فإنما يستفاد ذلك من السنة، فمصدر هذا النوع من الأحكام هو السنة لا القرآن. والله أعلم.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري. ج. 5. 40-42. دار سحنون. 1413هـ-1992م. ضمن موسوعة الكتب السنة وشروحيها.

## المحاضرة العاشرة

### إعجاز القرآن

- 1- تعريف المعجزة وشروطها
- 2- بين المعجزة والكرامة والسحر
- 3- تعريف إعجاز القرآن
- 4- ثبوت إعجاز القرآن
- 5- وجوه إعجاز القرآن

## إعجاز القرآن

تعريف المعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة.  
شروط المعجزة:

- 1- أن تكون مما لا يقدر عليه إلا اله رب العالمين.
- 2- أن تخرق العادة وتكون مخالفة للسنن الكونية.
- 3- أن يستشهد بها مدعي الرسالة على صدق دعواه.
- 4- أن تقع على وفق دعوى النبي المتحدي بتلك المعجزة.
- 5- أن لا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة.

### بين المعجزة والكرامة والسحر:

ثمة فرق كبير بين المعجزة والكرامة ، لأن الكرامة لا يدعي صاحبها النبوة، بل لا يتحدى بها الناس وإنما تظهر على يده لصدقه في اتباع النبي ، وليس صاحب الكرامة بمعصوم، وقد قال بعض المحققين أن الكرامات التي تقع للأولياء هي من جملة معجزات الأنبياء، لأن هؤلاء الأبرار ما كانت لتقع لهم تلك الخوارق لولا اعتصامهم بالاتباع الحق للنبي وقيامهم بدعوته، وهذا يبين لنا أن شرط الكرامة للولي صدق الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم.

أما السحر: فهو أبعد شيء عن المعجزة والكرامة وإن كان يقع فيه غرائب لكنه يفترق عن المعجزة والكرامة لأن صاحبه راكب حتى الفسوق والعصيان، والطاعة للشيطان والتقرب إلى الجن بالكفر والفسوق والبدعة، وإن كان عمل الساحر طريقا لكنه لا يخرج عن طاقة الإنس والجن، إذا ما يعله السحرة مترتب على أسباب يتعلمونها، لذلك خضع لموسى لما رأوا معجزاته لأنهم أعلم الناس بأسباب السحر ومن ثم أدركوا أن موسى على الحق المبين فكانوا أول المؤمنين.

### أنواع المعجزات: المعجزات قسما:

(أ) معجزات حسية: كالإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وإحياء الموتى لعيسى، وانقلاب العصا حية لموسى.

(ب) معجزات عقلية: مثل استجابة الدعاء، والإخبار عن الغيب، والقرآن الكريم، وقد جرت سنة الله أن يجعل معجزة كل نبي مناسبة لما يتفوق فيه قومه، ولما كان

العرب قوم بيان ولسن كانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم - الكبرى هي القرآن الكريم.

## إعجاز القرآن الكريم:

### تعريف الإعجاز:

#### لغة:

مادة العجز تعود إلى معنيين، هما:

عدم القدرة، والتأخر.

اصطلاحاً: إعجاز القرآن مركب إضافي معناه إثبات القرآن عجز الخلق عن الاتيان بما تحداهم به فالتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الأنبياء بما تحداهم به<sup>1</sup>.

### ثبوت وإعجاز القرآن:

لقد أعلن إعجاز القرآن على العالم من أعظم مصدر وأصدقوه وهو القرآن الكريم حيث تحداهم بالإتيان بمثله علنا على رؤوس الأشهاد، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ لَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾. [الطور: 33/34]. ثم جاءهم بتخفيف التحدي فتحداهم بعشر سور فحسب في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. [هود: 13].

ثم أرخى لهم حبل التحدي ووسع لهم غاية التوسعة فتحداهم بسورة واحدة، أي سورة ولو من قصار السور ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. [يونس: 38].

ثم قطع الله عليهم، بل على الثقلين كلهم بهذا الاعلان الحاسم: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [الاسراء: 88].

وأكد هذا الحسم وذلك التحدي بقوله تعالى: في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

<sup>1</sup> مناهل العرفان 459/2.

للكافرين ﴿ . [البقرة: 23-24].

### أوجه الإعجاز في القرآن الكريم:

أولاً: الإعجاز البلاغي البياني: في الألفاظ والأسلوب هذا الوجه هو أعظم وجوه الإعجاز القرآني وأبينها لا تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم، وهذا الوجه يدركه العرب أولاً وهو أول من خوطب به، وأهم خصائص الأسلوب القرآني ما يأتي:

1- تأليف القرآن الصوتي.

2- القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى.

3- خطاب الخاصة وخطاب العامة.

4- إقناع العقل وامتاع العطفة.

5- تألف الألفاظ والمعاني<sup>1</sup>.

### ثانياً: الإعجاز بالمضمون:

ويعتبر هذا القسم من الإعجاز بأنه معجزة عقلية يدركه كل من يفهم الخطاب سواء ملك ذوقاً أدبياً غنياً أم لم يملك، سواء عربياً أو أعجمياً، وأهم هذه الوجوه:

(1) الإخبار عن الغيب : سواء كان غيب الماضي أو غيب المستقبل أو غيب الحاضر.

فمن أمثلة النوع الأول قصص الأنبياء والأمم الغابرة.

#### ومن النوع الثاني:

إخبار القرآن الكريم بانتصار المسمين وهم قلة في مكة يوم بدر بقوله تعالى:

﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾. [القمر: 44].

وإخباره بوقوع الجذب على المشركين في سورة الدخان في قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم يأتي السماء بدخان مبين يفتش الناس هذا عذاب أليم﴾. [الدخان: 10].

وإخباره بانتصار الروم على الفرس ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾. [الروم: 31].

#### ومن النوع الثالث:

<sup>1</sup> انظر تفصيل ذلك في كتاب النبأ العظيم لعبد الله دراز.

إخبار المسلمين بمؤامرة المشركين في بعض الغزوات إذا طلبوا منهم الهدنة التي اعتادوها لأجل الصلاة ويفاجئهم غدرا فنزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾. [النساء: 02].

### الإعجاز التشريعي:

إن القرآن جاء بتشريع معجز يدل على أنه تنزيل من الله ووحى منه تبارك وتعالى وذلك من أوجه:

- 1- أنها جاءت على لسان رجل أمي في أمة أمية تعيش الحياة القبلية، لا يخطر على بال أحد منهم انتظام أول التزام بقانون عام أو نظام خاص.
- 2- إنه تشريع شامل وكافل لإحقاق الحق وصيانة مصالح الناس في جميع شؤونهم المالية والاجتماعية والأسرية والدولية.
- 3- أنه فاق كل قانون بشري حتى اقرت المجامع الدولية الفقه الإسلامي مصدرا أساسيا تقتبس منه القوانين<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى ص 95، ومن روائع القرآن د. البوطي.

# المحاضرة الحادية عشرة:

## التفسير

- تعريفه
- الحاجة إليه وفوائده
- نشأة التفسير ومراحل تطوره
- مناهج المصنفين في التفسير وأساليبهم

## تعريف التفسير

لغة: هو مصدر فسر، يفسر تفسيراً وهو من الفسر بمعنى البيان، قال الزبيدي:  
الفسر الإبانة وكشف المغطى<sup>1</sup>.

وقد جاءت هذه الكلمة مرة واحدة، في القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ، إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾. [الفرقان: 33].  
فالتفسير لغة يدل على البيان والكشف والتفصيل.

اصطلاحاً: هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم - وبيان معنيه واستخراج أحكامه وحكمه<sup>2</sup>.

وقال أبو حيان: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب و..... ذلك<sup>3</sup>.  
بين التفسير والتأويل:

لغة: مصدر أول تأويلاً من الأول وهو الرجوع.

اصطلاحاً: ترى فئة من العلماء أن التأويل مرادف للتفسير ومنهم الطبري.  
وترى فئة أخرى أن التأويل بيان التفسير ثم اختلفت عباراتهم في بيان الفرق بينهما.

(1) التفسير أعم من التأويل وأن التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني والجمل.  
(2) التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً والتأويل بيان لفظ يحتمل وجوهاً منها بما ظهر من الأدلة.

(3) التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر.

قوله تعالى: ﴿إِنْ رِيكَ لِبِالْمَرْصَادِ﴾ تفسيره: أن المرصاد من رصدته أي رقبته وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الاستعداد.

## الحاجة إلى علم التفسير وفوائده:

<sup>1</sup> تاج العروس، ج 7 ص 349.

<sup>2</sup> البرهان للزركش، ج 1، ص 13.

<sup>3</sup> تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 121.

لا ريب أن القرآن الكريم إنما أنزل ليؤمن به ونتلوه ونعمل به ولا يكون ذلك إلا بمدارسته وفهمه وتفهمه للناس، واستخراج أحكامه وحكمه وهداياته من هنا كانت الحاجة إلى التفسير ملحة.

**ومن فوائد هذا العلم:**

1- المعرفة بمراد الله تعالى: قدر الطاقة البشرية فيما يشرع لعباده من أوامر ونواه يستقيم عليها حال الناس.

2- المعرفة بهدايات الله وتعاليمه في العقائد والعبادات والأخلاق، وغير ذلك مما يحقق الحياة الطيبة في الدنيا والفوز في الآخرة.

3- المعرفة بأوجه الإعجاز في القرآن الكريم ليصل المرؤ بهذه المعرفة إلى قوة الإيمان برابانية القرآن وصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

4- التوصل لحسن عبادة الله إذ في الانشغال بالتفسير يعيش القلب والعقل في رحاب كلام الله فتركوا نفسه ويتورق عقله.

5- يشمل علم التفسير على معارف شتى عن علوم القرآن وعلوم العربية، وعلوم الشريعة مما يزود دارس التفسير ثقافة واسعة متنوعة<sup>1</sup>.

### **نشأة التفسير وتطوره والمراحل التي مر بها:**

نشأ التفسير مع نزول القرآن وكان أول من تولى ذلك هو رب العزة نفسه (ثم إن علينا بيانه) فقد بعض الآيات تنزل وفيها نوع من الإجمال فتتزل آية أخرى تتولى بيانها وتفصيلها.

ثم أنه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ببيان ما أنزل إليه من القرآن فقال: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾. [النحل: 44].

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم - بمهمته في بيان معاني القرآن فبين مشكله ومجمله وخصص عامة وقيد مطلقه وشرح بعض ما يحتاج إليه الصحابة من الفاظه.

### **مراحل تطور علم التفسير:**

### **\* مرحلة الرواية في عصر الصحابة والتابعين:**

<sup>1</sup> مقدمة تفسير الجلالين د. عبد الحي الفرماوي - دار التوزيع والنشر الإسلامية ص 9، وانظر كتاب من روائع

القرآن. د. رمضان البوطي ص 72.

وقد نشأت في هذا العصر مدارس للتفسير في مراكز إسلامية ثلاث:  
أ- مدرسة التفسير بمكة وقد قامت على عبد الله بن العباس رضي الله عنهما  
ومن أهم أعلامها:

- سعيد بن جبير ت 95 هـ

- مجاهد بن جبر المكي ت 104 هـ

- عكرمة مولى ابن عباس ت 104 هـ

- طاووس بن كيسان اليماني ت 106 هـ

- عطاء الله بن أب رباح ت 114 هـ

ب- مدرسة التفسير بالمدينة وقامت على أبي بن كعب وأهم أعلامها:

- أبو العالية ت 90 هـ

- محمد بن كهب القرظي ت 118 هـ

- زيد بن أسلم ت 136 هـ

ج- مدرسة التفسير بالعراق وقامت على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأهم  
أعلام هذه المدرسة:

- علقمة بن قيس ت 61 هـ

- مسروق بن الأجدع ت 63 هـ

- الأسود بن يزيد أبو عبد الرحمان النخعي ت 75 هـ

- مرة الهمداني ت 76 هـ

- عامر بن شراحيل الشعبي ت 109 هـ

- الحسن البصري ت 110 هـ

- قتادة بن دعامة السدوسي ت 117 هـ

مميزات التفسير في هذه المرحلة:

أولا : جيل الصحابة:

1- الاعتماد على الرواية وعدم التدوين.

2- عدم استقلال التفسير كمادة وعدم تمييزه عن بقية العلوم الإسلامية.

3- قلة الاختلاف بينهم في فهم معاني القرآن.

4- قلة الأخذ بالإسرائيليات.

5- عدم التكلف في التفسير.

6- عدم التأثر بالمذاهب العقدية والفقهية لعدم ظهور هذه المذاهب<sup>1</sup>.

7- الاعتماد على الشعر الجاهلي والإسلامي في تفسير ألفاظ القرآن الكريم.

### ثانياً: جيل التابعين:

لا تختلف حالة التفسير في جيل التابعين عن حالته في جيل الصحابة، إلا قليلاً

نحملها في الآتي:

1- كثرة الأخذ بالإسرائيليات لكثرة من دخل في الإسلام من أهل الكتاب.

2- كثرة الخلاف بين التابعين في تفسير معاني القرآن.

3- بداية ظهور بوادر التأثر بالمذاهب العقدية.

### مرحلة التدوين:

\* الخطوة الأولى: التدوين غير المستقل.

وذلك عندما ابتدأ تدوين الحديث الشريف فكان التفسير يدون كباب من أبواب الحديث، ولم يفرد العلماء في هذه الخطوة بالتأليف ولم يستوعب جميع آيات القرآن ومن أهم من دون التفسير في هذه المرحلة بهذه الصفة.

- يزيد بن هارون السلمي ت 117 هـ

- شعبة بن الحجاج ت 160 هـ

- وكيع بن الجراح ت 197 هـ

- سفيان بن عيينة ت 198 هـ

### الخطوة الثانية: التدوين المستقل للتفسير:

استقل التفسير عن الحديث فدون كفن قائم بذاته وكاد التفسير في هذه الخطوة مستوعباً لجميع آيات القرآن مرتباً حسب المصحف الشريف وقد تم ذلك على أيدي جملة من العلماء أشهرهم:

- ابن ماجة القزويني ت 273 هـ

- محمد بن جرير الطبري ت 310 هـ

<sup>1</sup> دراسات حول القرآن الكريم د. اسماعيل أحمد الطحان ط3 - 1988 - مكتبة الفلاح ص 152.

- أبو بكر النيسابوري ت 318 هـ

- ابن أبي حاتم ت 327 هـ

وتتميز هذه الكتب بما يأتي:

- 1- أنها مروية بالأسانيد إلى الرسول والصحابة والتابعين.
- 2- خالية من التفسير بالرأي ما عدا تفسير ابن جرير الطبري.
- 3- خالية من نقد الروايات والكلام فيها بالتصحيح أو التضعيف.
- 4- جمعت مع المأثور الإسرائيلية<sup>1</sup>.

**الخطوة الثالثة:** ظل التفسير في هذه المرحلة كما هو يدور في فلك المأثور عن السلف فقط ولكن خطأ خطوة أخرى حيث جعل المؤلفون في التفسير يحذفون الأسانيد للاختصار فدخل الوضع في التفسير واختلط الصحيح بالباطل.

**الخطوة الرابعة: التوسع في التفسير بالرأي:** كان التفسير بالرأي موجودا حتى في عهد السلف بين الصحابة والتابعين، وكانت بعض الكتب المدونة في التفسير بالمأثور لا تخلو من الاجتهاد ، كما يلاحظ عند الطبري في حدود ولكن في هذه المرحلة توسع متأثرا بالمعارف والعلوم المتنوعة والآراء والمذاهب المتباينة العقائدية الفقهية حتى وجدت في كتب التفسير أشياء لا صلة لها به.

**مدارس التفسير:** انقسم التفسير إلى مدرستين كبيرتين هما:

**أولا:** التفسير المأثور: وفيه يلتزم المفسر بالوارد في تفسير الآية عن الرسول - صلى الله عليه وسلم- أو عن الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين دون سوق زيادة على ذلك، إلا أن يكون شرحا لغويا لكلمة أو كشفا عن إعراب جملة أو نحو ذلك:

**ثانيا:** التفسير بالرأي أو الاجتهاد:

وفيه لا يقتصر المفسر على الوارد بل يتجاوز ذلك إلى استنباطاته الخاصة من دلائل الصفة أو قواعد العلوم إذا كان اللفظ قابلا لحمل المعنى المستنبط، وقد تكون هذه المعاني المستنبطة مباحث من علوم وفنون مختلفة غير التي تدل عليها الآية من قريب وهذا اللون من التفسير يحتاج إلى ضوابط علمية وأخلاقية حتى لا ينحرف

<sup>1</sup> الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، 140-142.

التفسير وهي مفصلة في كتب أصول التفسير<sup>1</sup>.

**مناهج المصنفين وأساليبهم في تفسير القرآن:** بعد أن اتسعت دائرة الاجتهاد في التفسير وكثر التأليف فيه وتنوعت مناهج العلماء وأساليبهم في كتابة التفسير، ويمكن إجمال تلكم الأساليب كما يأتي:  
الأسلوب الأول: التفسير التحليلي:

وهو الذي يلتزم فيه المفسر تسلسل النظم القرآني والسير معه سورة سورة، وآية آية، فيتناولها بالشرح والبيان، وهذا هو الأسلوب الذي سلكه أكثر المفسرين.  
الأسلوب الثاني: التفسير الإجمالي:

وهو أن يقسم المفسر السورة إلى مجموعات من الآيات، يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالاً، ملتزماً إبراز مقاصدها، موضحاً معانيها، مظهراً لمراسيها، وحكمها وأحكامها، ويجعل بعض (ألفاظ) الآيات رابطاً بين النص وبين تفسيره، فيورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني، ولم يجانب ألفاظه وعباراته، ومشعراً بما انتهى إليه تفسيره من النص، ويكثر سلوك هذا النهج من الأسلوب في تفاسير المحدثين، كتفسير المنار للشيخ رشيد رضا، وتفسير المراغي، وتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب.

**الأسلوب الثالث: التفسير المقارن:** هو ان يعمد المفسر إلى جملة من الآيات، في موضع واحد، في سورة واحدة، فيورد أقوال المفسرين السابقين، ويوازن بينها ويقارن، وينفذ الضعيف، ويصحح الصحيح، وخير مثال لهذا النوع من التفسير، تفاسير شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه أبو بكر ابن القيم، كتفسير سورة الإخلاص، ودقائق التفسير للأول، والتفسير للقيم والتبيان في أقسام القرآن، وأمثال القرآن للثاني.

**الأسلوب الرابع: التفسير الموضوعي:** هو ان يلتزم المفسر موضوعاً قرآنياً واحداً، يجمع الآيات الواردة فيه فيدرسها مجتمعة ليصل بعد ذلك - حسب جهده - إلى حكم القرآن النهائي أو مبادئه في ذلك الموضوع، وقد أكثر المحدثون من هذا النوع من التفسير كثرة ملقنه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> كبير يونس، أصول التفسير ص 447-454.

<sup>2</sup> مقدمة تفسير الجلالين ص ط.

## المحاضرة الثانية عشرة:

### الأحرف السبعة

- أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف
- معنى الحرف
- المراد من الأحرف السبعة
- الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف.

## الأحرف السبعة والقراءات

**أولاً : أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف:**

(1) روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقراني جبريل على حرف فلم أزل أستزيد ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف".

(2) روى البخاري ومسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف لم يقرئنيها رسول الله فكدت أساوره في الصلاة فانتظرت حتى سلم ثم بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال أقرانيها رسول الله، فقلت أكذبت و الله إن رسول الله أقراني هذه السورة التي سمعتك تقرأها فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت يا رسول الله، إني سمعت هو يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله أرسله يا عم أقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها.

قال رسول الله هكذا أنزلت ثم قال رسول الله: اقرأ يا عمر فقراءت القراءة التي أقراني فقال رسول الله كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه.

- روى الترميذي عن أبي بن كعب قال لقي رسول الله جبريل فقال يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال يا محمد: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

### **معنى الحرف:**

الحرف بعدة معان منها:

طرف الشيء وحدة الذي ينتهي إليه.

وقد يطلق على حرف الهاء

كما يطلق على جانب الشيء وناحيته<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> محاضرات في علوم القرآن د. فضل عباس 215.

ويطلق الحرف ويراد به القراءة، يقولون هذا حرف ابن كثير وحرف أي عمر وأي: قراءته.

### المراد بالأحرف السبعة:

تعددت آراء العلماء في المراد من الأحرف السبعة المذكورة في الحديث نذكر منها:

**القول الأول:** انها سبع لغات من لغات العرب، واختلف في تحديد اللغات السبع فقيل هي: لغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن، وسعد بن بكر ، وقيل : قريش وهذيل وثقيف، وهوازن وكنانة وتميم واليمن.

**القول الثاني:** أنها سبعة أوجه من الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل.

أو من الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال.

**القول الثالث:** أن العدد المذكور في الحديث لا مفهوم له إنما أريد به الكثرة.

**القول الرابع:** أنها سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها:

وهذه الأوجه هي:

1- اختلاف الحركات دون تغيير المعنى والصورة مثل: يحسب ويحسب.

2- أن يكون التغيير في دون التغيير في الصورة مثل: تلقى آدم من ربه كلمات وتلقى آدم من ربه كلمات.

3- أن يكون التغيرات في الحروف مع التغيير في المعنى لا الصورة مثل: تتلوا وتلو.

4- أن يكون التغيير في الحرف مع التغيير في الصورة لا في المعنى مثل: الصراط، والسرائر.

5- أن يكون التغيير في الحروف والصورة نحو: يأتل يتأل.

6- أن يكون التغيرات بالتقديم والتأخير نحو: وَقَاتَلُوا وَقَاتَلُوا وَقَاتَلُوا وَقَاتَلُوا.

7- أن يكون التغيرات بالزيادة والنقصان نحو: ووصى وأوصى<sup>1</sup>.

أنها سبعة أوجه من الاختلاف وهو رأي ابن الجزري.

<sup>1</sup> القراءات القرآنية د. عبد الحليم قابة ط1 دار الغرب الإسلامي ص 116.

1- الاختلاف في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو: يَحْسِبُ وَيَحْسَبُ بالكسر والفتح.

2- أن يكون بتغير في المعنى فقط دون تغير في الصورة نحو ﴿فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ و ﴿فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾.

3- أن يكون التغير في الحروف مع التغير في المعنى لا في الصورة نحو (تتلو) و (تبلو).

4- أن يكون التغير في الحروف مع التغير في الصورة لا في المعنى نحو (السرط) و (الصرط).

5- أن يكون التغير في الحروف والصورة نحو: يَأْتِلُ وَيَتَأَل.

6- أن يكون التغير بالتقديم والتأخير نحو: (وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا).

7- أن يكون التغير بالزيادة والنقصان نحو: (وَوَصَى وَأَوْصَى)<sup>1</sup>.

**القول الخامس:** أنها سبعة أوجه من الأصول المطردة مثل: صلة ميم الجمع وهاء الضمير والإدغام والإظهار والمد والقصر وتحقيق الهمز والفتح والامالة وحذف الياءات وإثباتها، وتحريكها وإسكانها.

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

1- التخفيف على الأمة وتسهيل القراءة عليها خاصة الأمة التي نزل فيها القرآن فإنها كانت قبائل كثيرة مختلفة اللهجات ونبرات الأصوات.

2- فيه وجه إعجاز إذ تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة يتمثل في الإيجاز مع الإعجاز.

3- فوائد في الأحكام الشرعية وتنوع الأحكام بسبب اختلاف وتنوع القراءات.

4- فوائد نحوية وبلاغية في تنوع القراءات<sup>2</sup>.

**بين الأحرف السبعة والقراءات:**

الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم غير القراءات قال أبو شامة: "ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف

<sup>1</sup> القراءات القرآنية عبد الحلیم قابة، ص 116.

<sup>2</sup> القراءات القرآنية ص 67.

إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل. وتوضيح ذلك أن هذه الأحرف الثابتة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ بها أصحابه، وكانت القراءات في الصدر الأول كثير جدا وغير منحصرة بعدد وعبارات القراء السبع لم تكن قد عرفت في الأمصار الإسلامية. وقد ذكر الذين ألفوا في القراءات أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام والطبري أضعاف تلك القراءات وإنما بدأت القراءات تشتهر على راس المائتين بسبب إقبال الناس على بعض الأئمة دون غيرهم لشهرتهم في العلم والورع ولتفرغهم للإقراء واشتهرت تلك القراءات بسبب كثرة تلاميذهم وروائهم الذين اعتنوا بها ونشروها دون غيرها واستقر بعد ذلك أمر القراءات على عشر هي المعبرة والمتواترة والمقروء بها دون غيرها. فالقراءات جزء من الأحرف السبعة وليست هي الأحرف<sup>1</sup>.

### أركان القراءات المقبولة:

وضع علماء القراءات ضابطا دقيقا لقبول القراءات ويشمل هذا الضابط على ثلاثة أركان جمعها ابن الجزري في قوله:

وكل ما وافق وجه النحو \*\*\* وكان للرسم احتمالا يحوي  
وصح إسنادا هو القرآن \*\*\* فهذه الثلاثة الأركان  
وحيثما يختل ركن اتيت \*\*\* شذوذه لو أنه في السبعة

**الأول: موافقة اللغة العربية:** المقصود أن توافق القراءات وجهها شائعا في اللغة العربية سواء كان هذا الوجه فصيحاً أو أفصح، مجمعا عليه أو مختلفا فيه، فالشرط أن لا تخرج عن كلام العربية بالكلية.

**الثاني:** موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية موافقة محققة كقراء: (مَلِك)

بالألف فهي موافقة للرسم احتمالا ولا تعد مخالفة لثبوت القراءة بها في مواضع كثيرة.

**الثالث: صحة الاسناد:** وهو أن تكون القراءة منقولة نقلا صحيحا مفيدا للقطع فما

صح سنده بالنقل، نقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه فهو مفرد به مقيد بتلاوته لا يجوز رده<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي - الاتقان - ج1 ص 138.

<sup>2</sup> محاضرات في علوم القرآن، فضل عباس ص 257-258.

## القرءات العشرة<sup>1</sup>:

- 1) نافع المدني ( ت 169 هـ).
- راوية: قالوت ( ت 220 هـ) و ورش ( ت 97 هـ).
- 2- ابن كثير المكي ( ت 120 هـ).
- راوية: البزي ( ت 250 هـ) وحنبل ( ت 29 هـ).
- 3- أبو عمرو البصري ( ت 154 هـ).
- راوية: الدوري ( ت 246 هـ) والسوسي ( ت 261 هـ).
- 4- عبد الله بن عامر الشامي: 118 هـ.
- راوية: هشام ( 245 هـ) و ابن ذكوان ( ت 242 هـ).
- 5- عاصم الكوفي ( ت 127 هـ).
- راوية: شعبة ( ت 195 هـ) وحفص ( ت 180 هـ).
- 6- حمزة الكوفي ( ت 106 هـ).
- راوية خلف ( ت 229 هـ) و خالد ( ت 220 هـ).
- 7- اكلسافي الكوفي ( ت 189 هـ).
- راوية: الليث ( ت 240 هـ) وحفص الدوري ( ت 246 هـ).
- 8- أبو جعفر المدني ( ت 130 هـ).
- راوية: عيسى بن وردان ( ت 160 هـ) و ابن جمار ( ت 170 هـ).
- 9- يعقوب البصري ( ت 205 هـ).
- راوية: رويس ( ت 238 هـ) و روح ( ت 234 هـ).
- 10- خلف العاشرت 229 هـ.
- راوية: إسحاق ( ت 286 هـ) وإدريس ( ت 292 هـ).

---

وانظر القراءات القرآنية - عبد الحليم قاتة ص 160-162.

\* لمزيد من التعرف على القراء ينظر كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري وغاية النهاية في صفات القراء.

## المصادر و المراجع

- 1- البرهان في علوم القرآن - الزركشي
- 2- الإتيان في علوم القرآن - السيوطي
- 3- مناهج العرفان في علوم القرآن - الزرقاني
- 4- محاضرات في علوم القرآن - الدكتور فضل عباس
- 5- من روائع القرآن - الدكتور رمضان البوطي
- 6- من علوم القرآن - عبد الفتاح القاضي
- 7- الفوز الكبير في أصول التفسير - الدهلوي
- 8- تفسير الجلالين - السيوطي
- 9- القراءات القرآنية - عبد الحلیم قابة
- 10- مباحث في علوم القرآن - مناع القطان
- 11- المعجزة الكبرى - محمد أبو زهرة
- 12- النبأ العظيم - محمد عبد الله دراز

## فهرس الموضوعات

05-02	التعريف بعلوم القرآن
10-06	الوحي حقيقته وأنواعه.
18-11	التعريف بالقرآن ن الكريم
23-19	تنزلات القرآن الكريم
31-24	المكي والمدني
44-32	ترتيب الآيات والسور
57-45	جمع القرآن وتدوينه
69-58	أسباب النزول
77-70	النسخ
82-78	إعجاز القرآن
90-83	التفسير
98-91	الأحرف السبعة